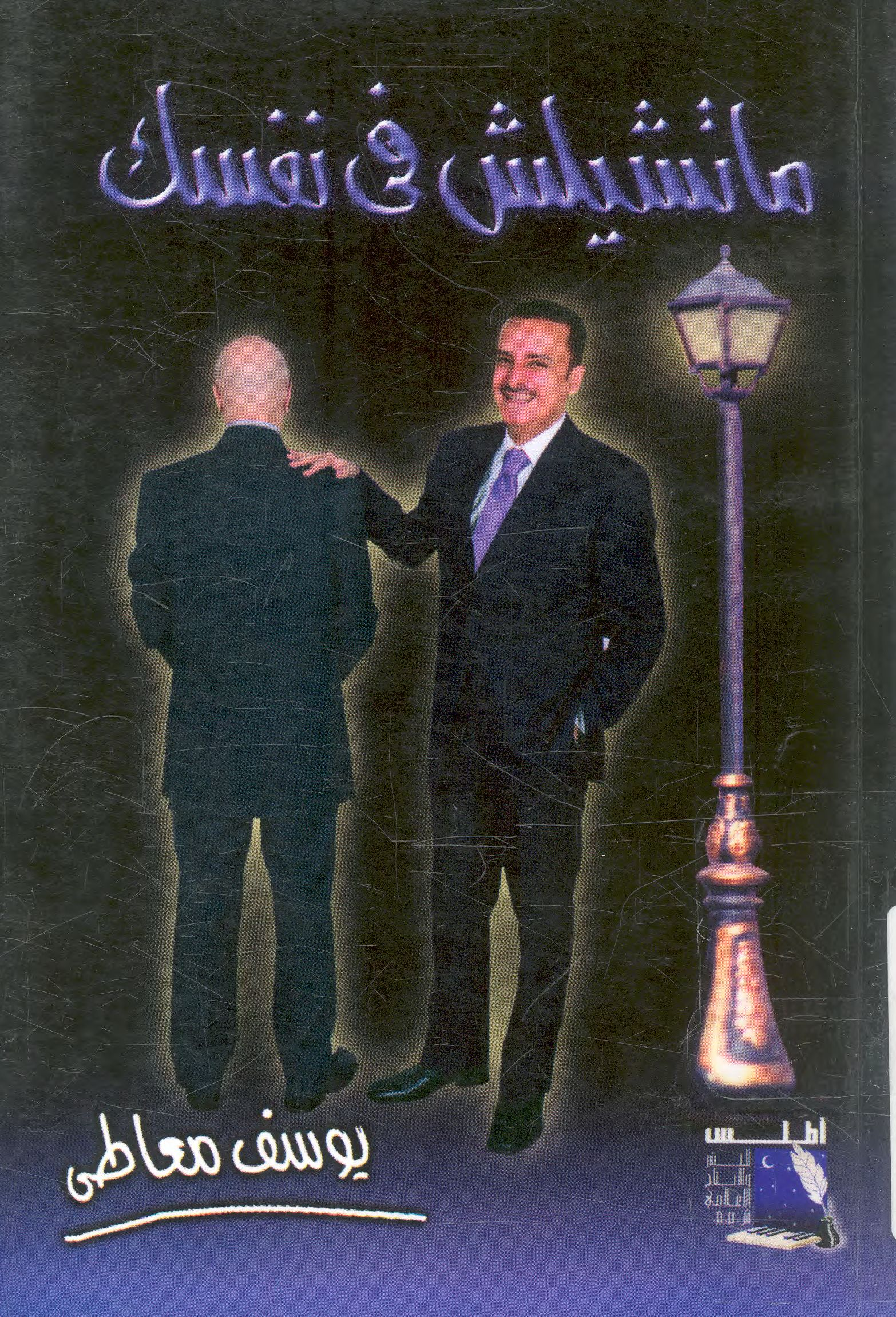


ماتشيلش فى نفسك

يوسف معاطى

أطلس
للنشر والإنتاج الإعلامي
ش.م.م.

ماتشيلش فى نفسك

يوسف معاطى



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصري

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

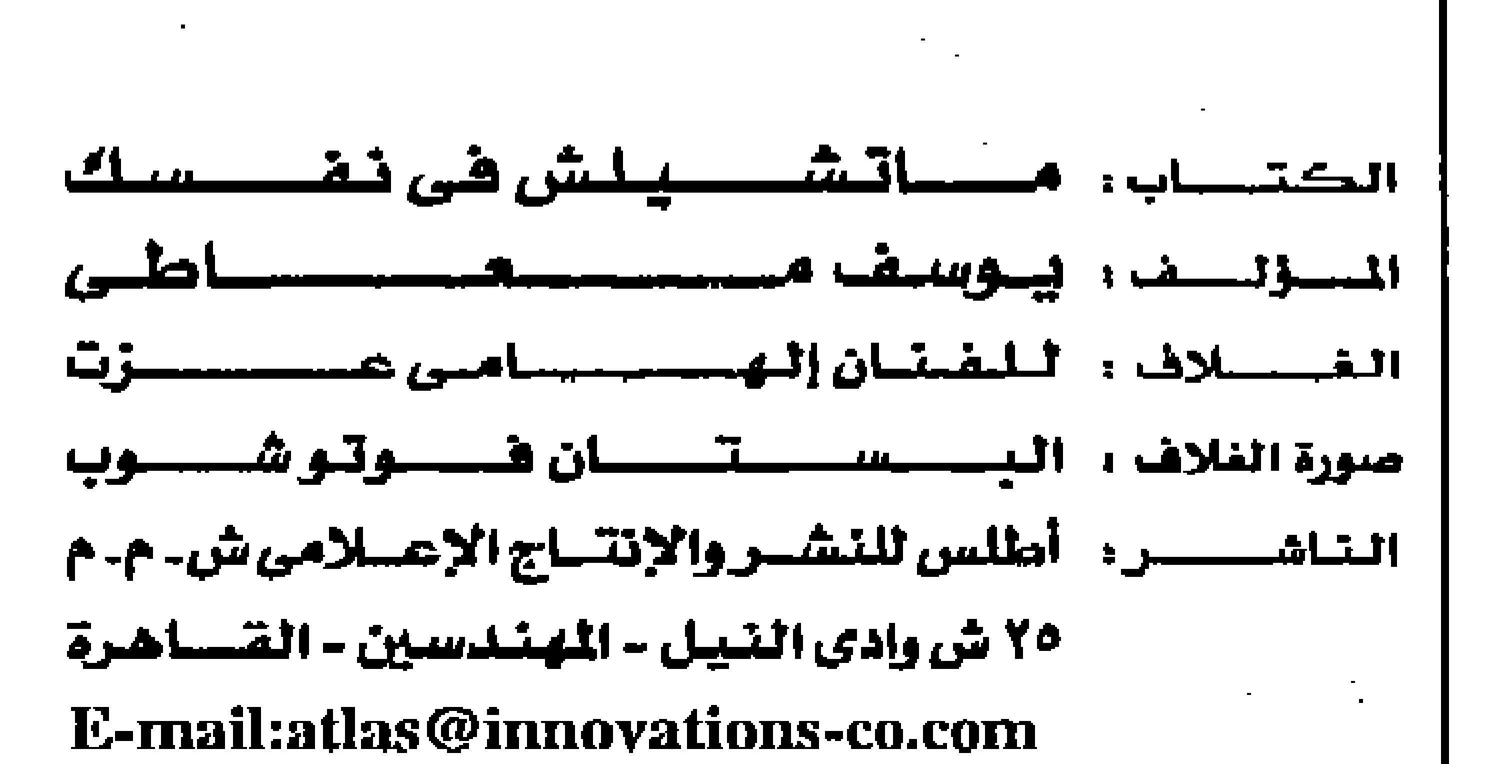
رقم الإيداع
٢٠٠٤ / ١٥٧٢

الترقيم الدولي
٥-٥٢-٦٠٨١-٩٧٧

الطبعة الثانية

الجمع والإخراج الفني
«مكتبة ابن سينا»
ت: ٦٣٧٩٨٦٣ ف: ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع ابن سينا



الكتاب: ماتشيلش في نفسك
المؤلف: يوسف معاطي
الغلاف: للفنان إلهامي عزت
صورة الغلاف: البستان فوتوشوب
الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م
٢٥ ش وادي النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون: ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس: ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

تطلب جميع مطبوعاتنا من
وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية
مكتبة الساعي للنشر والتوزيع
ص.ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٢٣ - هاتف ٤٢٥٢٧٦٨ - ٤٢٥١٩٦٦
فاكس: ٤٢٥٥٩٤٥ جدة - تليفون وفاكس: ٦٢٩٤٣٦٧

المقدمة

جالسا في القطار.. في منتصف الليل.. أتصفح الجرائد.. جثث.. ضحايا.. قتلى.. شيء بشع.. مخيف.. مرعب .

قالت لي المرأة الجميلة التي تشاركني المقعد المجاور :

ما تشيلش في نفسك..

تنهدت في زهق.. وقلت لها : تخيلي كل هؤلاء القتلى لو طلعت علينا عفاريتهم ماذا سيحدث؟.

ابتسمت وقالت.. هل تؤمن بالعفاريت ؟

قلت لها.. لا أعتقد..

فهمست في أذني : إذن.. اعتقد.. من الآن..

وتلفت حولي.. فلم أجد المرأة!! لقد اختفت في الظلام!!

شـــيء في صبري

ما الذي حدث لصبري بالله عليكم؟ كان جبارا هائلا يحتمل ما لا يطيقه بشر.. كانت تنهال عليه السخافات والتفاهات مـن كـل جانب فكان يتلقاها بكل رضا وتسامح ويواجهها بابتسامة رائعـة مرسومة كابتسامات الصور الشهيرة لنجوم السينما.. كان صـبري يتعامل مع كل المجننات والمكفرات والمعكننات والمفقعات المرارات من حوله بروح رياضية عالية يحسد عليها.. كان هــذا هـو صـبري فما الذي حـدث لـه؟! عـذرا.. حتـى لا يحـدث أي خلـط مـالوش لازمة.. أنا لا أقصد عبد الستار صبري طبعا.. وإنمـا أقصـد صبري أنا الذي صار خلقه أضيق من ثقب الإبرة ..

كنت أحفظ كل مواويل الصبر وكل أمثال الصبر وكنت أؤمن بها كل الإيمان.. (اصبر على جارك السوّ.. يا يرحل يا تجيله مصيبـة تـاخده).. وصـبرت لا رحـل شـارون ولا جاتلـه مصيبـة تـــاخده.. (وقالك ايه اللي صبّرك على المر.. قال اللـــي أمـر منـه) وصـبرت على نيتانياهو.. وصبرت على باراك.. وصـــبرت علـى اللـي أنيـل وأمر منه.. قالك الصبر مفتـاح الفـرج.. ولم أكـن أدري أن الفـرج صار بالأرقام السرية (سامسونيت) يعني.. ما ينفعـش معـاه مفتـاح

ولا طفاشة.. وصبرت على الذين خدعوني وظلموني.. وسرقوني.. سرقوا الموبايل مني ذات مرة.. ولما كان الموبايل من الأشياء التي تستطيع أن تتصل بها حتى إذا سرقت منك.. فلم أجد شيئا أفعله سوى أن أطلبني.. رن الجرس ورد صوت واثق من نفسه قائلا في ألاطة.. مين؟! قلت له مازحا: يوسف موجود؟! فقال بثقة أكثر.. مين عاوزه؟! قلت له قول له يوسف برضه فصمت قليلا.. وقال لي.. صاحب الموبايل مش كده؟! قلت له وأنا أحاول أن أنقذ ثلاثة أشياء.. أنقذه من نفسه الأمارة بالسوء.. وأنقذ الموبايل.. وأنقذ المكالمة حتى لا تطول.. ما يبقاش موت وخراب ديار.. قلت له في ود مفتعل.. أنت لقيته فين أصله وقع مني.. ولكنه رد باقتضاب.. لأ.. ما وقعش منك.. أنا سرقته!! هكذا قالها بكل بجاحة.. ولكنني تسلحت بصبري وضحكت ضحكة مصنوعة وقلت له يا سيدي ده أنت تزوده.. فأجاب بحسم وحقد دفين.. لأ.. أنا مش ح أزوده أنا مش ح أرجعه أساسا.. أنا محتاج الموبايل وأنت تقدر تجيب غيره.. أنا بكلمك بصراحة – ولم يقل بوقاحة – ولم أجد ردا سوى أن قلت له بكل صبر.. خلاص اللي تشوفه.. ولكنه بكل صفاقة.. قبل أن أغلق السماعة في خلقته تصوروا ماذا قال لي.. أظن أنت مش محتاج الشاحن دلوقت!! قلت له.. وح اعمل بيه أيه بأه.. مانت أخدت الموبايل.. قال لي طيب ما تسيبهولي.. بدل ما تكلفني شاحن جديد.. هنا بأه.. نفد صبري وقبل أن أشتمه قلت لنفسي

سأصبر حتى يعلم الناس أنني صبرت على شيء أمر من الصبر ولكنه أضاف قائلا: على فكرة فيه واحد اتصل بيك على الموبايل اسمه عادل عرفة وعاوزك في حاجة مهمة ابأه اطلبه.. وأنا لو حد كلمك (عندي) أبأه أبلغك.. قلت له كتر خيرك.. هكذا يا أعزائي كنت صبورا إلى درجة الإبل .

ووجدت نفسي فجأة بلا أي مناسبة كله أنا الصابر الوحيد.. اصبر وأحث الناس على الصبر كمان.. ولا أنكر أن صبري هذا كانت له نتائج جيدة بالفعل.. ولكنني لم أكن أعلم أنه مثل وديعة في البنك ظللت أسحب منها حتى صار رصيدي صفرا.. إلى أن تحولت إلى هذا الكائن الغريب النافد الصبر.. إذا قلت لهم في البيت عاوز شاي.. أتبعها على الفور بصرخة هستيرية.. شاي.. شاي.. بقول عاوز شاي.. فين الشاي تنظر لي زوجتي باستغراب وتقول.. ما انت لسه قايل عاوز شاي بتزعق ليه هنا أغلى وأفور.. قبل الشاي.. وأصرخ.. الشاي.. الشاي يا ناس.. تندهش زوجتي أكثر.. وتضع يدها على رأسي وتقرأ لي قرآنا.. وفجأة ينفد صبري وأقسم.. كله.. طيب وديني ما أنا شارب شاي ..

يكلمني أحد الأصدقاء.. ألو.. أرد بنفاد صبر.. عاوز ايه.. اخلص.. يقول: فيه موضوع مهم قوي عاوز أكلمك فيه!! لاحظوا طول الجملة.. سبع كلمات ولم يدخل بعد في الموضوع.. ومن أين لي بالصبر لأتحمل كل هذا.. أصرخ فيه.. خش في الموضوع أنا مش

ناقصك أنت راخر.. يقول : امبارح بالليل.. هنا يفيض بي الكيل.. أنت لسه ح تكلمني عن امبارح بالليل.. وأغلق السماعة في وجهه وأنا أزفر في ضيق.. الصبر، الصبر يارب من عندك.. وحينما أفسدت ابنتي علة التليفون الوحيلة في البيت.. صرخت فيها وفي البيت كله.. بوظتوا التليفون!! هاتوا مفك وجرت زوجتي لتحضر لي المفك برغم إيمانها التام بأنني فاشل تماما في إصلاح أي شيء ولكنها أسرعت لتحضر المفك لا لشيء إلا لأنني بعد أن قلت لهم هاتوا مفك.. ظللت بعدها أردد كاسطوانة مشروخة في ثورة جنونية.. المفك.. فين المفك.. مفك يا ناس.. مفك يا عالم.. الحقوني بمفك.. وجاءت بالمفك وفي عينيها نظرة استهزاء بما أنا مقدم عليه.. وجلست كأب مالي مركزه وأمامي العلة وبدأت أضع المفك على المسمار وألفه ولكن.. الملعون يلف على الفاضي ؟! ويبدو أن يدي عرقانة فالمفك الملعون أيضا ينزلق تحت أصابعي.. وصرخت.. منديل.. منديل.. منديل يا ناس.. منديل يا إخواننا ، وجاءت زوجتي بعلبة المناديل ووضعتها أمامي في صمت.. وشعرت للحق أنها أكثر صبرا بكثير من ناعسة نفسها.. ولكن المفك أيضا يحتاج إلى صبر.. والمسمار صغير في حجم الدودة.. أجيله من هنا يتسمر في مكانه.. ألف له بالعكس يعاكسني ويعمل لي رأسه كله.. وأمسكت بالعلة وبالمفك وعلبة المناديل وأطحت بها جميعا من البلكونة .

بدون كلام !!

سيفعلونها بالتأكيد.. ولكنني أتمنى من كل قلبي ألا أكون على قيد الحياة حينما يفعلونها.. نعم.. سوف يخترع الإنسان في الغد آلة تقرأ الأفكار ولن يستطيع أحد أن يخفي عن الغير رأيا يجول برأسه أو فكرة يحاول كتمانها.. وأنت يا عزيزي إذا كنت الآن تقرأ أفكاري التي كتبتها في ا لمقال فليس معنى هذا أنها بالفعل أفكاري.. وإنما هي المسموح لي بكتابتها.. أو هي التي أريدك أن تقرأها.. ولكنهم في الغد القريب سيجعلونك تقرأ ما لم أكتبه.. وهذه مصيبة كبرى ..

فهذا ما كدت أمد يدي وأسلم عليه حتى قال.. معييش فلوس.. وما تتعبش نفسك.. هكذا قبل أن أفتح فمي وأقول له إني جاي أميل عليه في قرشين لأول الشهر، لقد قرأ أفكاري من أول ثانية.. وهذا عريس لم يستطع أن يمشي في سكة اللوع ويقول لأبيها.. أنا اللي شدني إليها أخلاقها وعيلتها والكلام إياه ده.

لأن أباها كان قد قرأ أفكاره بسهولة وبوضوح وهي أنه باصص على القرشين بتوع البنت ، وهكذا سيعترف المجرمون والنصابون والمرتشون بكل ما يدور في أذهانهم.. فلم يعد هناك جدوى من الإنكار واللف والدوران.. طالما أننا سنستطيع ببساطة أن نقرأ أفكارهم..

وهذه كانت جالسة مع حبيبها في جو رومانسي جميل.. ثم فجأة قامت ورزعته قلم على وشه وهي تقول له: أنت قليل الأدب.. في القسم أقسمت أنه حاول يبوسها ولما أكد الشهود أنه لم يتحرك من مكانه.. قالت لهم بثقة أنا قرأت أفكاره واعترف (المضروب) بأن فكرة (البوسة) عدت على دماغه بالفعل ولكن طردها من رأسه بسرعة.. ثم قال بتحد وإذا كانت المسألة قراءة أفكاره بأه.. فأنا سأتكلم.. لقد قرأت أنا أيضا أفكارها.. هنا.. وبهدوء شديد تنازلت الحبيبة عن المحضر منعا للفضائح.. وهذه فتاة أخرى كانت في خلوة عاطفية مع حبيبها.. يتبادلان النظرات الملتهبة.. ثم قالت له بزهق.. أنت ح تقعد تفكر كتير كده ؟!

ستختفي من الحياة منظومة (النفاق) الكبرى التي استشرت في المجتمع.. فهذا يلاقيك بالأحضان والقبلات مع أنه كان معاك امبارح.. ويهتف.. روح قلبي.. حبيبي.. واحشني.. بأموت فيك.. ويدخل صديق آخر فيكمل صاحبنا منظومته بعبقرية.. الباشا الكبير وصل أهو عمي وعم الناس كلها.. كل هذا لن يحدث

طبعا.. فبقراءة سريعة لما يجول بخاطره وهو نازل رص في هذا الكلام.. سيصبح منظره وحش قوي.. وقراءة الأفكار ستغير السياسة.. ولن ينخدع الناس في الحملات الانتخابية بكلام مرشحيهم وربما تغير السياسيون أنفسهم حينما يقرأون أفكار الناس تجاههم.

إن قراءة الأفكار بلا شك ستجعل الحياة أكثر هدوءا وتأملا.. وسيتقلص الحوار اليومي إلى حد كبير مكتفين بالحوار الداخلي وما يدور بداخل كل منا من أفكار وسنعيش في حالة من الخرس والبحلقة.. فلا اغتياب ولا نم ولا كلام فاضي نضيع فيه أيامنا وتبقى أيامنا (حلوة) مثل ملحق الأهرام.. فما أجمل تلك الزيارة العائلية التي منحني إياها صديقي وزوجته وجلسا صامتين.. ونحن – أنا وزوجتي – جلسنا أمامهما متنحين، وكان كل منا يقرأ دماغ الآخر في صمت.. لم تقل لهم زوجتي.. تشربوا ايه؟ ولم يجيبا عليها (ما تتعبيش نفسك لسه شاربين) لقد قرأت زوجتي بسهولة أنهما يريدان عصير مانجة فأحضرت من نفسها أكواب العصير ولم يعترض أي منهما على شيء بل تناولا العصير على طول.. ما أجمل قراءة الأفكار.. ولم تنطق زوجة صديقي بكلمة ولكن زوجتي ردت عليها بنظرة تعني.. معلش هوه خفيف شوية عشان المانجة بتبقى تقيلة.. ردا على فكرة جالت بخاطر زوجة صديقي التي لا يعجبها العجب ثم قال لي صديقي – بنظرة برضه – احنا مش ح

نقعد كثير أنا عارف انك مشغول وكانت الفكرة قد طرأت على رأسي بالفعل.. كنت أقول لنفسي يا بخت من زار وخفف فالزيارات الخفيفة مثل المالمجة الخفيفة.. كلتاهما سهلة الهضم.. وهكذا كان يسود الجلسة ذلك الصمت الرائع.. وكأننا في مكتبة عامة، وكان كل منا منهمكا في حديث صامت غارقا في أفكار الأخر.. تناولنا فيه كل الموضوعات، وكان حوار العيون هذا مسليا بحق .. إلى أن قرأت في رأس صديقي جملة كان يفكر فيها وهو ينظر لزوجته (مش ياللا بينا بأه) ولما لم يقرأ في رأسي ولا في رأس زوجتي جملة (ما انتوا قاعدين شوية) قاما للانصراف وعند الباب نظر نحوي ما معناه (مرسيه) ورددت عليه بنظرة تعني (على ايه؟!) وانصرفا دون أن نتبادل أي كلمة.. فقالت لي زوجتي بنظرة برضه (يا ساتر يارب.. رغايين قوي.. أنا دماغي انفلقت!!) .

وظلت علاقتي بزوجتي علاقة نظرات وقراءة أفكار فلا أستطيع أن أصف لكم النعيم الذي نعيش فيه.. إذا أردت فنجان قهوة ع الريحة.. لا أطلبها.. وإنما تقرأها زوجتي.. وفي ثوان تكون أمامي.. وإذا أرادت زوجتي فستانا جديدا لا تطلب.. وإنما أقرأه أنا في رأسها وأحضره لها فورا ولا تقول شكرا ولا أقول العفو.. فكل هذه الكلمات والمشاعر والمعانى لا ننطقها.. وإنما نمارسها بالفعل.. إلى أن جلسنا ذات يوم نشاهد التليفزيون وكانت المطربة اللبنانية تغني إحدى أغنياتها المثيرة في دلع.. فوجدت زغدة مهولة في كتفي

من يد زوجتي.. وعلمت أنها قرأت أفكاري ولم يكن هناك جدوى من أن أحلف لها أنني لم أكن أنظر إلى المطربة بنية وحشة.. وحينما ذهبنا إلى الحفل إياه.. كادت تحدث كارثة حينما مرت إحداهن بفستان سواريه عاري الظهر وحينما طلعت الراقصة لتؤدي نمرتها مالت بكتفها على صدري في دلال مثير.. كل هذا كان يحدث أمامي.. والأفكار السودا تنهال على رأسي وتأتي هذه الأفكار إلى زوجتي مقروءة بخط واضح لتحاسبني عليها حساب الملكين.. قال لي صديقي.. أنا بأه يا عم ريحت نفسي.. اتجوزت واحدة لا بتقرأ ولا تكتب.. أفكر في اللي أنا عاوزه وهي ولا هنا.. لا يمكن تعرف تقرأ أفكاري.. وحسدت صديقي.. ولكني علمت بعد فترة أنها دبت خناقة لرب السما حينما ضبطته يفكر بنية أبيحة في نجمة الإغراء المثيرة (باميلا أندرسون) ولما سألته كيف استطاعت زوجتك وهي الأمية أن تقرأ أفكارك؟ أجاب في أسى.. هي لم تقرأ أفكاري وإنما كانت بتتفرج على الصور ..

بعد كده حتاخد على كده

الفقر الأصيل.. كالغنى الأصيل.. كلاهما لا يتردى بالأخلاق.. وكما تتفاخر العائلات الغنية الأصيلة بتاريخها العريق تجد العائلات (المتأصلة) في الفقر ما تقوله برضه.. فالأغنياء الذين يتباهون بالعربية والشاليه والشوفير.. نقول عنهم (نوفوريش) وننعتهم دائما.. بأنهم محدثو نعمة.. وشبعة بعد جوعة.. أما (النوفوبور) أو الفقراء الجدد فهم الشاكون أبدا.. البائسون في تظاهر وادعاء.. ويظل يأكل ودنك.. مش لاقي حق العشا.. أنا مديون لطوب الأرض.. وهذا في رأيي.. محدث فقر.. أما الفقراء المأصلون أمثالنا الذين تنتهي بهم شجرة العائلة إلى معاطي الكبير ذلك الشحاذ الواقف على باب زويلة من أيام السلطان برقوق.. فلا شكوى ولا تبرم.. وإنما حالة من الاستقرار والهدوء النفسي الرائع.. وموقف واضح من الرفاهية والعز.. واستطاع أبي أن يبحر بقاربنا الذي يشبه (نورماندي تو) عبر الأمواج المتلاطمة.. كيف وصل بنا إلى هنا؟ الله وحده يعلم ذلك.. وكانت

حكمته البليغة.. ح تعيش طول عمرك فقير.. وبعد كله هتاخد على كله.. وبالفعل أخذنا على كله.. وعشنا كله.. وسنموت كله..

الفقر ليس عيبا.. والغنى أيضا ليس عيبا.. فهما كلون البشرة.. فلا بياضك أفضل من سماري.. ولا سماري يجعلك (ترمي بياضك) بالقبح.. العيب كل العيب أن (تبيض) فجأة مثلما فعل مايكل جاكسون.. أن تغتني فجأة مثل كثير من الأغنياء الجدد.. أو أن يأتيك الفقر فجأة.. دون أن تتكون لديك فلسفة الفقر فتصاب بلوثة عقلية.. ولذا ارحموا عزيز قوم ذل.. والرحمة هنا واجبة أكثر منها على ذليل قوم ذل.. فأنا لست محتاجا لرحمتك.. ربنا موجود..

ومع ذلك فكل منا يميل إلى الاعتقاد بأن الحظ سوف يأتي يوما ما فتهبط عليه الثروة ورغم هذا الاعتقاد الراسخ بداخل كل إنسان فهو حينما تهبط عليه الملايين.. يرتبك.. وتصبح الثروة الفجائية.. نقمة..

وهذه امرأة ثرية عرجاء.. تركت في وصيتها أن تمنح كل أعرج يمشي في جنازتها خمسمائة دولار.. وطلعت الجنازة.. كل اللي ماشيين فيها بيعرجوا.. ولاحظ محاموها أن أحدهم (يتعارج) أي يمثل أنه أعرج.. فرفض أن يعطيه الخمسمائة دولار فقال له الرجل متوسلا.. طيب هات ميتين.. ما أنا (بأزُك) أهوه.. وهو يصدق عليه قول الشاعر.. (تعارجت لا رغبة في العرج.. ولكن لأفتح باب

الفرج) وهذا من أصحاب المقاهي في لندن.. ابتاع يوما تذكرة يانصيب فربح ٣٥٠ ألف جنيه استرليني فهجمت الجماهير على مقهاه ورمته بالحجارة.. وادعى حلاق كان بجوار المقهى أنه اشترك معه في شراء التذكرة.. وكتب إليه أربعون من أقاربه يطالبونه بحصصهم في ربحه فأقفل مقهاه وترك إنجلترا كلها ليهرب من أقاربه وجيرانه والدنيا كلها.. أجمل ما تفعله الحياة.. أن تعطيك بالقسط.. ولذا أنا أتردد كثيرا قبل أن أمد يدي وأخذ منها شيئا.. فهي إذا أعطتك (كاش) طلعت عينك في الفوائد.. ويحكى أن أديسون المخترع الجبار كان في بداية حياته بائعا للصحف.. وذات يوم كان يبيعها في القطار فاستوقفه رجل يبدو عليه الثراء ويدخن سيجارا فخما.. وإلى جانبه خادمه.. فما كاد يراه حتى صاح به.. تعال يا بني .. إيه اللي معاك؟ فقال أديسون.. جرائد ومجلات.. قال الرجل : كم جرنال وكم مجلة؟ قال أديسون ٣٤ قال الرجل احدفهم من الشباك!! فتردد أديسون ولكن الرجل كرر ما قاله.. بقولك احدفهم من الشباك وأنا ح أدفع لك تمنهم.. ياللا.. فصدق أديسون ما قاله الرجل وقذف بالصحف من نافذة القطار.. فالتفت الرجل إلى الخادم وقال له.. حاسب الولد على الجرائد فحاسبه الخادم.. وخرج أديسون وهو غير مصدق فهو لم يبع في حياته مقدارًا كهذا من الصحف بمثل هذه السرعة.. وعاد إلى صندوق الجرائد والمجلات وحمل كل ما تبقى وعاد مخترقا القطار ينادي.. جرائد

ومجلات ! فما كاد الرجل يراه حتى ناداه.. تعال يـابني مـاذا تحمـل؟ كم مجلة؟ احدفهم من الشباك.. حاسب الفتى عليـهم أيـها الخـادم كان الرجل على ما يبدو وقد أتم صفقـة تجاريـة ناجحـة ويريـد أن يشبرق على خلق الله وعاد أديسون إلى صندوقه.. فوجد بـه بعـض الروايات القديمة التي لا تباع فأخذها ومر أمام الرجل، وتكـرر مـا حدث في المرتين السابقتين.

ولم يبق عنده إلا الصندوق الفارغ.. فأقفله.. وحمله.. مقتربا مـن باب القطار لكي ينزل في أقرب محطة يقف عندها.. ولكن الرجـل صاح به.. ما هذا يا فتى؟ قال أديسـون.. صنـدوق يـا سيدي فقـال مبتسما كم صندوقا عندك؟ فقال أديسون صنـدوق واحـد.. فقـال.. احدفه من الشباك.. ثم التفت إلى الخـادم.. حاسـب الفتـى.. وجمع أديسون نقوده وأنهى عمله كبائع للصحف والمجلات تماما.. وأنفق النقـود في تعلـم استعمال التلغـراف والكـهرباء، واخـترع آلـة كهربائية تدون أخبار البورصة وسمعت شركة ويسـترن التلغرافيـة بالاختراع فطلب مديرها من أديسون أن يحدد المبلـغ الـذي يريـده ثمنا للاختراع.. وعاد أديسون لبيته وقال لزوجته.. كـم اطلـب ثمنـا لاختراعي؟ فقالت له أطلب عشرين ألف دولار. فضحك أديسون وقال لها: أنا مش عاوز أطفش الراجل من أولها.. فقـالت زوجتـه.. قلها له بلطف وإذا شعرت أنه سيفر من يديـك.. قـل لـه: كنـت أمزح يا فلان.. عاوز تدفع كام؟ يبدو أن أديسون اخترع التلغراف..

وزوجته اخترعت (الصياغة).. وذهب في اليوم التالي إلى المدير.. فقال له.. هل قررت يا أديسون كم تريد ثمنا لاختراعك؟ فقال نعم.. قال المدير كم تريد؟ وحاول أديسون أن يقول ٢٠ ألف دولار فلم يستطع.. التصقت الكلمات بحلقه.. وتجمدت على لسانه وشعر الرجل بتردده .. فقال اسمع يا أديسون أنا لن أدفع لك أكثر من مائة ألف دولار!! كاش..

وأفاق أديسون من دهشته.. ولكنه قال له.. أنا موافق ولكن بشرط.. أنا لا أقبل هذا المبلغ إلا إذا دفع لي على ١٧ قسطا على الأقل.. فالفلوس حينما أتتني دفعة واحدة وأنا بائع صحف.. قضت على عملي هذا.. وأخشى أن آخذ منك مائة ألف دولار فأنتهي كمخترع.. وهذا ما فعلته أنا أيضا مع الناشر الذي عرض عليّ أن يعطيني أجري كاملا عن كتبي.. ورفضت وقال عني الأصدقاء.. إنني .. فقري.. ولكنهم لا يعرفون أنني من عائلة (أصيلة) في الفقر..

شيش.. بيش

في القطار.. كنت جالسا لتوي على مقعدي قبل أن يتحرك القطار إلى أسوان.. أرتب حاجياتي - وأضبط الوضع الذي سأسترخى عليه وأغط في نوم عميق.. أتأكد من أن الكرسي يرجع إلى الوراء.. ويلف إلى الوراء.. ويلف.. أتأمل الوجوه التي حولي والتي ستشاركني الرحلة.. وقد غالبني الزهق من أن هذه الوجوه لن تتغير لساعات طويلة.. وفجأة.. دخل أحدهم وهو ينظر إلى أرقام الكراسي.. حاملا حقائبه بصعوبة ويتحرك بالكاد بجسده البدين المترهل بين الكراسي.. ما هذا.. لا يمكن.. إنه (حلمي) صديقي القديم واشرت له باسما واضعا ذراعي أمامه لأمنعه من المرور بجواري وقلت له.. رايح فين يا جدع أنت؟! وما أن رآني حتى تهلل وجهه وعانقني في سعادة حتى كاد أن يفعصني.. وقال.. يابن الإيه.. لا يمكن.. إيه الصدف الحلوة دي.. حد قاعد جنبك؟ قلت له.. لأ.. قال لي خلاص.. مش ح أسيبك وإن جه حد.. يبأه يقعد مطرحي.. ووضع شنطة فوق الكرسي وجلس بجانبي يلتقط أنفاسه بصعوبة وقد وضع على قدميه الحقيبة الثانية.. وهي

سامسونيت محترمة.. وقال وهو يلـهث.. دي بـأه خليـها هنـا علـى رجلي.. وحينما حاولت أن أجد لها مكانا مع الحقائب.. قال باسمـا.. لا.. دي شنطة السفر.. ما تفارقنيش طول ما أنا مسـافر.. وفتحـها.. ويـالهول مـا رأيـت.. الشـنطة بـها كـل شـيء وأي شـيء.. لـب.. سـوداني.. حمص.. عسـل نحـل.. شـيكولاتة.. كوتشـينة.. لبـان ومشروبات وعصائر.. وشيشة صغيرة جدا.. ومعسل وفحم يشتعل بالكبريت.. قلت له مندهشا : ما هذا؟! فقال مبتهجا.. أمال أخـوك جاهز أنا أحب أدلع نفسي.. عارف لو طلبت لبن العصفور تلاقيه هنا في الشنطة دي.. تلعب عشرة طاولة.. وإذا بالحقيبـة إذا فردتـها بشكل معين تتحول إلى رقعة طاولة ومن جيب صغير بـها أخـرج (الزهر).. وانطلق بنا القطار.. قلت له.. أراك سعيدا يا (حلمـي).. قال وهو يشير إلى دبلة في أصبعه.. طبعا لازم أكون سعيد اتجـوزت امبارح بنت زي القمر.. قلت له.. الرابعة هذه يـا (حلمـي).. قـال وهو يضحك.. والله ما أنا فاكر.. أنا مبسوط وهي مبسوطة.. ح نعد ليه بأه؟! قلت له وهيه ما سافرتش معاك ليه؟ فأجاب سـافرت مـع أمها في الطيارة.. أنا بأه أنت عارفني أموت مـن الطيـارات.. قلـت لهم ح احصلكوا في القطر.. ثم ناولني كمية من المكسرات وقـال.. قزقز يا جو يا جميل.. أحكيلك ع العروسة شوية حتة بت حكايـة.. ١٨ سنة بس قشـطة.. واحـد صـاحبي كـان شـافها وقـال لي عليـها روحت لهـم خلصـت الليلـة في تـلات كلمـات.. قـوام قـوام زي

السيما.. وما كدت أعقب على الفارق في السن بينهما.. حتى أخرج لي علبة دواء من الشنطة وقال.. اللي اخترع دي أخذ نوبل وأنا لو عليا أديله الأوسكار كمان.. وضحكنا وبعد فترة كان المكان حولنا تحول إلى (مزبلة) من قشر اللب والسوداني الذي كان يتساقط على قميصه ورقبته ثم يتدحرج على كرشه حتى يصل إلى الأرض، قال لي وهو يلقي بالزهر في أول عشرة طاولة.. أنت مالك مش عاجبني يا عم اضربها صرمة.. الدنيا كده ولا تستاهل ثم قال (هابياك) ثم عاد يقول: اعمل زيي.. إغرق في التفاهات.. والكلام الفاضي.. ولا هموم ولا أفكار ولا تكلكع نفسك شوف الشيشة دي أنا عاملها عمولة.. على إيدي.. حتة بندقة.. قعدت على إيد اللي خرطها.. واللي عمل لي (اللي) بتاعها.. مزاج.. سلطنة.. معنديش مشاكل.. ورايح أدلع نفسي مع العروسة الجديدة.. مش أنت اللي غرقان في الأبعاد والنظريات والكلام ده.. والله يا جو أنا بازعل عليك لما بقرالك حاجة.. مغلب نفسك.. (شيش بيش).. ثم ناولني الشيشة الصغيرة وقال شد.. الدنيا كده.. أما تطلب معاك شرب اشرب.. طلبت أكل.. كُل طلبت جواز.. اتجوز .. (دبش).. مالك مش مقتنع بكلامي.. غريبة إنك تلاقي حد الأيام دي يقولك أنا سعيد ، ما النكد اللى انتوا فيه ده.. انتو السبب فيه.. البني آدم هوه اللي بيخلق سعادته بإيده احنا علطول بنهرب من السعادة.. (بنج دو) قلت له وأنا أناوله

الشيشة وأكح.. بنهرب منها ازاي؟.. قال لي الطبيعة من نفسها كله ساعات تقول للإنسان.. حب.. اتمتع بالحب.. تلاقيه هو يقول لك وآخرة الحب ده إيه.. تيجي الطبيعة تقول له اتجوز يابني آدم.. يقولك لسه.. لما أكوّن نفسي.. علطول هربانين ومستنيين حاجة.. عمرها ما بتيجي.. أهيه جات.. (الدورجي).. خشب يا بيه.. راحت.. قلت له.. أنت بتقول إن الإنسان هو الذي يخلق سعادته ولكن أي التهاب في الضرس.. شوية أنفلونزا تحيل حياته جحيما.. يعني مثلا.. لو القطار اتقلب بينا دلوقت متهيألي حتقول لي كلام تاني.. قال بإصرار.. ما يتقلب.. مالك .. قلقان ليه.. الموت.. الحوادث.. المرض.. دي حاجات بتحصل آه.. لكن أفكر فيها ليه.. أما تبأه تحصل.. أنت فكرتني بواحد صاحبي أبوه كان مريض بمرض خطير شوية.. قعد عشر سنين يعيط عليه.. ويشتكي.. أبويا تعبان.. الفحوصات الأخرانية وحشة قوي.. الدكاترة بيقولوا مفيش أمل.. لحد ما مات.. قلت له.. الأب.. قال باسما.. لأ.. الواد هوه اللي مات.. وأبوه لسه عايش ولسه غالبه عشرة طاولة امبارح.. وانفجر ضاحكا ثم قال لي.. تعرف إن أنا أما أحب أقرأ.. أقرأ مجلة ميكي.. ما تضحكش عليّا والله فيها مواعظ وعِبر.. عارف محظوظ.. ابن عم بطوط.. أهوه ده أنا باموت فيه.. وأنا فيا منه على فكرة.. أنا مرزق.. ماشيه معايا كله لوحدها أصل اللي يحسبها لا يمكن تيجي معاه.. يعني أنا مثلا بقالي سنين ح أموت

وأشوفك وأهوه لقيتك قدامي.. ومر مفتش القطار بجوارنا.. فسأله صديقي وهو يناوله قطعة نوجة من الشنطة بقول ايه يا راجل يا طيب.. القطر ده طوالي مش كله.. ما بيقفش في محطات؟ فأجابه المفتش.. أيوه يا بيه ما بيقفش غير في الأقصر وبعدين أسوان..

هنا تجمدت ملامح صديقي.. وصرخ فيه.. أسوان؟!! مش ده قطر إسكندرية.. فأخذ المفتش تذكرته وتأملها وقال له.. أنت ركبت قطر غلط.. وقبض حلمي على رأسه بيديه.. وأخذ يخبط عليها بجنون.. أنا حمار.. أنا غبي.. دول راحوا مرسى مطروح بالطيارة.. مراتي وحماتي.. وأخذ يصرخ.. وقفوا القطر.. وقفوا القطر.. وأخذ يروح ويجيء كالثور الهائج وهو يلطم على وجهه وقد نسى تماما.. روشتته العبقرية.. للسعادة.

دموع وأسئلة

إذا كانت حياة الإنسان مسلسلا عربيا مليئا بالفواجع والمآسي.. وقليل من السعادة.. فتيترات البداية لهذا المسلسل الممل.. هي ذلك البكاء المستمر والوأوأة غير المبررة دراميا والتي يبدأ بها كل منا حياته بعد أن يولد مباشرة.. لماذا يبكي الإنسان عند مولده؟ هذا سؤال لم يجب عليه أحد إلى الآن وقد تحير الأطباء حينما وجدوا جنينا نازلا من بطن أمه ومسخسخا على روحه من الضحك وشخط فيه الطبيب المولد.. أنت جاي تتولد ولا جاي تهرج؟! وزالت حيرة الأطباء بعد ذلك حينما علموا أن أم الولد وأباه.. كانا من أعلام (الباطنية) .

ويقول الكاتب المبدع فكري بك أباظة.. إنه حينما ولد نزل من بطن أمه.. صامتا يحملق في المحيطين به.. وكأنه ركب قطر غلط ونزل في بلد تانية.. وانزعج الجميع من هذا الطفل (الساكت) لحظة ولادته واعتقدوا أنه عفريت!! وأخذوا يضربونه على مؤخرته ويقرصونه..ويوخزونه بالإبر.. إنه يعيط!! أبدا.. وكبر

الطفل.. ومرت به أحداث جسام ولكنه دائما كـان يحتفـظ بتلـك النظرة المندهشة المحملقة.. ولم يبك أبدا ولم يعـرف الدمـوع إلى أن التقى بها.. (إلهام) وأحبها حبا جنونيا وحينما خانته.. وتخلت عنـه.. هنا.. هنا فقط.. بكى الطفل العفريت.. أخيرا.. وجد سببا معقـولا للبكاء .

وعلى النقيض من أسـتاذنا فكـري أباظـة.. كـان أخوكـم منـذ ولادته كأنه ماسورة عياط وضربت.. ولحظة ولادتي يقول الشـهود.. إن صوتي كان جايب آخر الشارع.. كصفارة إنذار بشعة وقد وقـع أبي فى نفس اليوم على شهادة ميلادي وعلى محضـر إزعـاج مـن هذا البكاء المتواصل الغريب، ولو كنت أعرف الكلام ربما لتحول بكائي إلى ردح وشتيمة وقلة حيلة.. وظلـت منظومـة بكـائي هـذه مستمرة.. كسيمفونية تعلو بحركات غير منتظمة إذا جعت.. أبكي.. وإذا شبعت أبكي.. إذا أخذوا مني حاجـة.. أنفجـر في البكـاء وإذا أعادوها لي.. تصعب عليّ نفسي.. فـأبكي أكثر.. وعشـت حيـاتي كلها هكذا.. فجربت كل أنواع الدموع.. دمـوع الفـراق.. ودمـوع الفرح.. ودموع الحزن.. ودموع البصل.. حينما أسافر أشد على يـد إخوتي واصدقائي في تأثر.. وأبكي.. وحينما أعود - بعد جمعة فقط - آخذهـم في حضـني و(أتشـحتف).. لم أشـعر أبـدا أن البكـاء ضعف.. بل اعتبرته نوعا من التدريب على التعامل مع الأحزان..
وقد اقترح عليّ.. بعضهم أن أسمي نفسي.. يوسف معياطي!!

وإذا كانت حياة الإنسان برنامجا تليفزيونيا مليئا بالأسئلة التي لا نجد لها إجابة غالبا فلا نربح شيئا في النهائية.. فكل أطفالنا - وأنا أعتز بكوني واحدًا منهم - بدأوا برنامج حياتهم بذلك السؤال الذي لا تتوقف ابنتي الصغيرة عن ترديده ليل نهار: ايه ده؟! ايه ده؟ فقد فوجئت البنت - يا عيني - بأن الحياة بها أشياء كثيرة جدا.. غير (المم) وبابا.. وماما.. فها هو مخلوق صغير يجري على السلم أمامها ولا تدري ما هذا، ولأنها تعتبرني سكرتيرها الخاص أو البودي جارد بتاعها.. تسألني : إيه ده؟.. فأجيب عليها بوقار أب محترم يعرف الكثير عن الحياة: دي قطة!! فتردد ما أقوله لها كببغاء صغير.. قطة.. (أوططة) وحينما ينبح كلب الجيران المتوحش الذي يملك وحده قرار خروجي من البيت إذا كان سائبا أو مربوطا.. تسألني.. إيه ده؟ أجيب عليها بخبرة أب (معضوض) قبل كده: ده أسد.. ولكنني لا أعلم لماذا تصر ابنتي على أن هذا النابح المزمجر.. (أوططه) برضه؟!!! وحينما تمر عربة كارو من أمام بيتنا تسعد جدا ابنتي وتصفق وهي تشير نحو الحمار وتقول لي وكأنها عرفت الإجابة من نفسها (أوططه) وحينما أحاول أن أصحح لها ذلك الخطأ الكبير وأبرز الفارق الجوهري بين الحمار والقطة حتى لا يسمعها أحد تقول ذلك فيتصور أن أباها - لا سمح الله - أوططه.. تصر ابنتي على أن الحمار.. قطة.. ولم أجادلها كثيرا مؤجلا شرح هذه النقطة الجدلية المعقدة حينما تكبر قليلا

وكلما كبر الطفل تكبر الأسئلة.. ونحن لا نـدري أننـا في إجاباتنـا لهذه الأسئلة نكون شخصيته ونرسم ملامحها.. والواقع أننا نعيـش في عالم من الأسئلة ونحمد الله أننا ننام ونستغرق في النوم العميق الـذي يرحمنـا مـن أدوات الاسـتفهام الكثـيرة الـتي نسـرف في استخدامها، ولكن ما أن أستيقظ من نومي حتى أجد نفسي أمـام أول سؤال.. صباح الخـير.. نمـت كويـس؟! هنـا لا بـد أن أبـدأ في تشغيل مخي كذلك على ريق النوم لأرد: فأومئ برأسـي محـاولاً أن تكون إجابة السؤال مختصرة إلى أقصى حـد.. فتلاحقـني بالسـؤال الثاني: أمال كنت بتشخر إمبارح ليـه؟ وهكـذا كمـا تـرون فـهذا السؤال أصعب من الذي سبقه.. ولأنني لن أربح ٣٢ ألف ريال إذا أجبت عليه فأكتفي بردي على السؤال الأول محتفظـا بوضعـي في البيت.. ثم ينقض عليّ السـؤال الثـالث الـذي سيخسـرني كـل شيء.. أنت جيت امبارح السـاعة كـام؟.. وهكـذا تنـهال الأسـئلة على رأسي من اليمين والشمال.. من كل الناس.. مـن مديـري في العمل.. من زملائي.. مـن أصدقـائي.. وكـأنني دار الإفتـاء.. الكـل يسألني بلا رحمة ولا هوادة في أي شيء وكل شيء في السياسـة.. في الأحوال.. في الجغرافيا.. والتاريخ.. وحتى في حساب المثلثات حتـى أنني قررت أن أستأجر كشكا وأكتـب عليـه (استعلامات) وأرزل أنواع الأسئلة تلك التي أتلقاها من صديقي إيـاه.. وهـي الأسـئلة التي توحي بأنها أجوبة.. الأسئلة المريحة الخادعة التي تبـدو وكأنـها

لا تحتاج إلى تفكير يهتف بي في سعادة حينما يراني.. عارف يا جو إيه أحلى حاجة في الدنيا؟!

هنا أسأله أنا.. إيه؟! فيرد (برخامة) لأ.. أنا بسألك عارف أنت؟! أصل أنا مش عارف.. وقبل أن أضربه من شدة غيظي.. يعود ويقول.. خلاص ما تزعلش.. عارف مين بأه اللي يجاوبلنا ع السؤال ده؟ أسأله ببراءة.. مين؟! فيرد.. لأ.. أنا باسألك أنت عارف مين؟! أصل أنا مش عارف برضه.. هنا أنهض وأنهي المقابلة.. أنا مش ناقص غلاسة.. فيمسك بي.. تعال بس يا أخي بهزر معاك.. بافرفشك.. أنت عارف أنا بهزر معاك ليه.. أقول له ليه.. فيقول.. أنا مش عارف.. أنت عارف؟! وهكذا بين الدموع والأسئلة.. بين المسلسلات المفجعة والبرامج المليئة بالأسئلة العبثية.. تضيع حياتنا.. وتضيع أيامنا الحلوة.. فهمتوا بأه مغزى المقال؟؟! أصل أنا مش فاهمه.. إيه بأه مغزى المقال ؟؟؟

الحوت والمليار.. والخل الوفي

كنت غارقا لشوشتي في عشرات الأسئلة العجيبة التي تتقافز في رأسي بلا سبب.. ولأنها بلا رابط بينها أيضا لا يمكن أن تتحول في النهاية إلى موضوع محترم.. كنت مشغولا إلى درجة عظمى.. وأخيرا.. وجدتها .. الجملة التي سأكتبها.. أين القلم؟ أين قلمي؟.. كان هنا أمامي.. قالت لي زوجتي في غيظ: إنه خلف أذنك.. فصحت بها.. بقولك مشغول.. أنهو ودن فيهم؟! الحقيني بالقلم.. فقد كان سؤالا يلح على ذهني.. وكان هذا السؤال قد خطر على بالي حينما غرقت الغواصة النووية الروسية في المحيط.. وغرق سؤالي في حينها في محيط دماغي هو أيضا.. وتلاشى.. ثم عاد ليطفو الآن على السطح من جديد ويفرض نفسه بقوة.. السؤال.. ماذا يحدث لو أن حوتا من الذكور ظن خطأ.. أن الغواصة هي زوجته؟! وماذا لو حدث بين الحوت والغواصة ما يغضب ربنا؟ وماذا لو أثمرت هذه العلاقة المشينة عن غواصات نووية صغيرة.. أو حيتان نووية تسعى في المحيط؟ ولما لم أجد إجابة على سؤالي.. وضعت القلم جانبا.. وغبت في حالة من الشرود النووي وذهبت

بخيالي.. بعيدا.. بعيدا كسفينة فضاء تائهة خرجت من المجال الجوي.. ثم فجأة.. صرخت في زوجتي.. فين القلم.. بتودوا الأقلام فين عاوز أعرف؟! قالت في غيظ.. وهي تخبطني على يدي بغلّ.. ما هوه في إيدك.. بتشوح بيه في وشي ومش شايفه؟

كان سؤال آخر قد خطر ببالي وأردت أن أسرع بكتابته وهو يرجع إلى أيام قديمة حينما كنت أتعلم الهيروغليفية.. ولما فشلت في تعلمها.. فشلت أيضا أن أحتفظ بالسؤال، وها هو يعود ليلح على رأسي الآن بلا مناسبة.. كان المصريون القدماء يرمزون للرقم ١ بخط عمودي.. وللرقم ١٠ بحدوة حصان والرقم ١٠٠٠ بأصبع في وضع إشارة،و الرقم مائة ألف.. بضفدعة تقفز.. أما (المليون) فقد رمزوا له بصورة رجل تبدو علامات الدهشة على وجهه.. وسألت نفسي لماذا لا يوجد في الهيروغليفية ما يرمز للمليار؟ وهل كانوا سيرمزون له بصورة رجل مطلع لنا لسانه ؟!

ولما لم أجد إجابة على سؤالي كالمعتاد.. وضعت القلم.. ودخلت في تلك الهلمّة الكبرى وحالة الغيبوبة اللاإرادية اللذيذة.. حينما تركز نظرك في لا شيء وأنت تشد شعراية نافرة من مناخيرك.. غارقا في اللاوعي..وأفقت على صوت زوجتي تصرخ.. انت احوليت كمان؟! ما قولنا بلاش تركز قوي كده!! ثم قالت قبل أن يفيض بها الكيل.. القلم أهو قدامك.. قلت لها ما أنا شايف القلم.. هوه أنا عميت ؟!

وعدت لأسأل نفسي ذلك السؤال النابع من توتر الموقف.. لماذا نتزوج ؟!

قال المخضرمون في الزواج.. إن المال والجمال والأخلاق.. يمثلون معا ذلك المثلث المرعب الذي يقع فيه الذكور وتذكرت صديقا كان يسعى للزواج من فتاة وارثة.. فقال لي عنها بهيام وحب.. إنني أحب الأرض التي تمشي عليها والأرض الأخرى التي تملكها في ٦ أكتوبر.. وصديقا آخر كان يسعى للزواج من ممثلة إغراء فقال لها.. يا حبيبتي إن هذا الزواج يعد تحديا حقيقيا لمواهبك فسوف تظهرين أحيانا وأنت ترتدين ثيابك كاملة.. ولكن أكثرهم حكمة قال لي.. مال إيه!! وجمال إيه !! المهم الأخلاق .. لقد اخترت الأخلاق.. ومع ذلك لم يستمر زواجه بها طويلا، وفسر لي ذلك بأن أخلاقها كانت (ضيقة) عليه شوية!!

وقد سئل أحدهم وقد بلغ من العمر أرذله.. لماذا لم تتزوج؟ فأجاب.. إنني أفضل أن أمضي حياتي وأنا أريد شيئا ليس عندي على أن أمضيها وأنا عندي شيء لا أريده، إن الحياة الزوجية هي حرب دائمة تتخللها معاهدات للسلام ما هي إلا فترات قصيرة بين حربين للتعرف على شخصية العدو، والزوج فيها مثله مثل السياسي عليه أن يكون قادرا على رؤية جانبي كل مسألة حتى يستطيع أن يدور من حولها.. والزيجات نادرا ما تتحطم على صخرة ضخمة من المصائب الكبيرة.. فهي تتعثر دائما على

الحصى الصغيرة والسبب أن قرار الزواج غالبا ما يتخذ بسرعة واستعجال.. حتى نبتسم في النهاية ببلاهة ونقول لبعضها البعض.. شوف النصيب.. كنت رايح دمنهور.. أقوم أنزل في طنطا أقابل لك مين.. عم بدوي.. يحلف ليغديني عنده في البيت.. أشوف تهاني بنت أخوه أقوم أتجوزها.. يعني لو كنت كملت لدمنهور كان زماني عازب لحد دلوقتي.. هيه قسم.. وهكذا.. كلنا كنا رايحين دمنهور.. ونزلنا في طنطا!!

إن اتخاذ القرار في هذه المسائل الحيوية المهمة يجب أن يكتنفه كثير من الروية والتأني.. أعرف شخصا كان مبذرا وقرر أن يمسك ايده شوية.. فكان يلف الفلوس التي يريد ادخارها في كيس نايلون.. ثم يضعها في دورق بلاستيك مملوء بالماء ويضع الدورق في (الفريزر) فيتجمد.. وعندما يعتقد أنه يريد أن يشتري شيئا ما.. يخرج الدورق من مكانه وفي خلال الساعة ونصف الساعة التي يذوب فيها الثلج.. يجد الوقت لإعادة التفكير في الأمر.. وفي ٩٠٪ من الحالات يعيد الدورق بأرصدته المجملة إلى مكانه بين الثلوج.. ولذا ضع كل شيء مصيري في حياتك في الثلاجة كما فعل صاحبنا فالفترة التي يذوب فيها الثلج فترة كافية ومعقولة للتراجع وتقليب الأسئلة على جميع الوجوه.. حتى أسئلتي هذه العبثية التي أزعجتكم لا تتخذوا قرارا بشأنها. ولا تشغلوا أنفسكم بها.. وإنما.. هوه كيس نايلون.. وتحط فيه المقال ودورق ميه.. وع (الفريزر) علطول..

العمر غلطة

إن الطريقة التي يجد بها بعض الناس الأخطاء تجعلك تعتقد أنه كانت هناك مكافأة للوصول إليها.. وقد جربت ذلك.. فإذا كنت جالسا بين مجموعة من الأصدقاء وبدأت أعدد محاسن أحد الكتاب أو الفنانين.. قد يومئ بعضهم برأسه وهو يقول.. طبعا.. طبعا.. وقد يتثاءب آخر وهو يقول بلا حماس.. آه.. أيوه.. هوه كويس.. وتتحول الجلسة إلى شيء فاتر.. ممل.. إلى أن يكسر جمود هذه القعدة تلك الجملة التي تغير مسار الدراما الساكنة.. وتحولها إلى حالة من اليقظة والبهجة والانطلاق.. ما هي الجملة؟.. الجملة التي يقولها أحدهم على الفنان الذي كنت أمدحه.. الجملة هي.

يعني.. هو مش للدرجة دي يا جماعة.. ما تنفخوهوش قوي كده..) هنا وكأنه فتح أبواب جهنم على المسكين الذي كان يحظى بإطرائنا وثنائنا عليه منذ دقائق قليلة.. فهذا يؤكد أنه (حرامي) وآخر يؤكد أنه (مسنود) وثالث يقسم أنه شديد الغرور وواحد قلم في نفسه.. إلى أن يتفق الجميع في النهاية على أنه تافه ولا يعرف الألف من كوز الذرة.. وهكذا تنتاب (قعدتنا) حالة من

الحيوية المفاجئة.. وفكرة البحث عن الخطأ فكرة إنسانية قديمة.. ولذا كلنا كنا نتابع البرنامج الإذاعي الشهير للراحل علي فايق زغلول (الغلط فين) وكلنا أحببنا البرنامج بشغف ولهفة وكانت متعتنا في التقاط أخطاء من يتكلمون. وقد اتفق أحدهم مع زوجته أن يدفع كل منهما للآخر خمسة وسبعين قرشا عن كل غلطة يغلطها أي منهما في أي مناقشة زوجية.. ويقال إن هذا الزوج (الخبيث) بيعها صيغتها!!

ومن كل أغاني الأفراح.. لم تحظ أغنية بتلك الشعبية والاحتفاء مثل أغنية الظريف غير المتكرر (عزيز عثمان) بطلوا ده واسمعوا ده.. وفي الأغنية يعدد عزيز عثمان عيوب العريس.. اللمامة.. الصدامة.. الندامة.. اللي لو خبوا في ودانه جوز أرانب لم يبانوا، وفي الصحافة.. يبزغ نجم الصحفي بقدر ما يستطيع أن يلتقط من أخطاء على كبار المسئولين.. وقد حدث يوما أن نشرت صحيفة في الخمسينيات صورة لنائب أمريكي واسمه (هاميلتون الجحش) وفي نفس الصفحة نشرت صورة لجحش يرعى.. ولكنها وضعت كلمات كل من الصورتين مكان الأخرى بطريقة الخطأ وعلى الفور اتصل أحدهم وأخذ يوبخ رئيس التحرير على هذا الخطأ الذي جعله هدفا لكل أنواع السخرية من طوب الأرض.. ثم قال مهددا رئيس التحرير.. سأتصل بمحامي وأقاضيكم.. فقال رئيس التحرير محتجا.. ولكننا يا سيادة النائب صححنا الغلطة في الطبعة الثانية.. فقال الرجل ومن قال لك أني النائب؟! (أنا الجحش)!!

وفيما يختص بالأخطاء.. فلا شيء يتمتع بحياة أطول من غلطة نرفض إصلاحها أو الاعتراف بها.. وقد ألف طبيب (تشرشل) كتابا عنه.. فسألته زوجته عن سبب العمر الطويل الذي عاشه ويتستون تشرشل فقال إن الطبيعة مسئولة عن ٥٠٪ .. وتشرشل نفسه ٥٠٪ وأنا كطبيبه الخاص ٥٠٪.. وأنا أعرف أن مجموع ذلك ١٥٠٪ ولكن لا ننس أن تشرشل لم يكن مجرد شخص عادى.. وكان تشرشل يعترف بأخطائه.. ولكنه كان يرفض إصلاحها.. وكان يعتبر أن (التجربة) هي الاسم الذي يطلقه كل إنسان على أخطائه السابقة.. وتحديد الأخطاء هي اللعبة المفضلة لطبيعة الإنسانية . ولذا فما من لعبة رياضية إلا وبها حكم.. كروت حمراء وصفراء.. وما من قصيدة إلا ولها أصول وعروض وبحور يجب الالتزام بها.. الفرق بين المصارعة والرقص مثلا. أن بعض (المسكات) الممنوعة في المصارعة.. لا تحتسب أخطاء إذا كان المرء يراقص امرأة جميلة.. والشخص الثابت الأعصاب هو الشخص الذي يرتكب نفس الغلطة مرتين دون أن ينتابه أي توتر أو عصبية.. واعتذارا للكاتب الراحل (يوسف السباعي) صاحب (العمر لحظة) فبما أنني لي نفس اسمه الأول.. فليسمح لي بالاسم الأول من روايته هذه أيضا فقد كنت مزنوقا في اسم المقالة هذه ولأسمها (العمر غلطة) فنحن نأتي الدنيا بغلطة.. غالبا ما تكون متعملة.. ثم نغلط الغلطة الكبرى التي تنجب لنا كل غلطاتنا.. إلى أن تنتهي الحياة.. بغلطة برضه. في طيارة أو في أتوبيس.. وطوال

هذا العمر الغلطة.. نحن مندهشون دائما..وقد سألتني إحداهن ذات مرة: كيف أعرف أنني تزوجت الرجل المناسب أو الرجل غير المناسب؟ فقلت لها دون تردد: المسألة غاية في البساطة.. فأنت إذا تزوجت الرجل غير المناسب ستعرفين ذلك على الفور.. أما إذا تزوجت الرجل المناسب.. فأنت لن تعرفي ذلك على الإطلاق!! إن الناس لا تدرك الأشياء إلا بعد فوات الأوان وما أبدع من هذا الشاهد الذي نصب على أحد القبور.. لرجل كان مصابا بداء الشك والوسوسة.. وقد كتب عليه (قلت لكم كنت عيان.. عيان دلوقت صدقتوا؟) .

أما الخطأ الذي لا يغتفر هو ذلك الخطأ الذي تظن أن أحدا لا يسمعه غيرك.. كنت أنا وأحد أصدقائي في (المول) وكان يبحث عن بنطلون لزوجته (في زهق) كما قال لي حتى يسد بقها.. وعندما سألته البائعة عن مقاس زوجته عند الأرداف.. قال لها لست أدري.. ولكن لدينا جهاز تليفزيون مقاسه ٢٩ بوصة.. وعندما تسير زوجتي أمامه تغطي الصورة تماما.. إلى هنا والغلطة يمكن أن تكون مبلوعة. فالبائعة ابتسمت في خجل.. وأنا ضحكت في نذالة.. ولكن.. كانت يد تنزل.. كالزلزال على كتف صديقي.. يد زوجته طبعا وعلمت بعد ذلك.. أنه اشترى البنطلون.. وباع التليفزيون.

هات م الآخر

يعتقد الدكتور تريفور ويستون عالم الأبحاث البريطاني.. أن الأشخاص الذين تبدأ اسماؤهم بالحروف من ميم إلى ياء.. يميلون عادة إلى الإصابة بما يسمى (العصبية الأبجدية) وذلك نتيجة لكونهم دائما في أواخر كل قائمة.. وهكذا وجدت نفسي دائما لسبب لا ذنب لي فيه.. في وضع انتظار دائم طوال حياتي - راجعوا اسمي في نهاية المقال - فأنا دائما في آخر الكشف.. وكثيرا ما سمعت هذه الجملة بعد يوم شاق من الوقفة المملة.. اللي اسمه يبدأ بالميم لحد الياء.. ييجوا بكرة. حتى في التطعيم في المدرسة كنت أصيل إلى (الحكيمة) غالبا وقد فرغ المصل.. أو الحقن (خلصت) مما يستدعى عذاب يوم آخر.. وحتى في النتائج النهائية للسنوات الدراسية.. لا أعلم لماذا كان (كشفي) يتأخر دائما.. فأرى الزملاء من حولي يفرحون ويقفزون لنجاحهم وآخرين يبكون رسوبهم. وأنا.. لم يتحدد موقفي بعد.. والغريب أن الترقيات الوظيفية تعتمد أيضا على الترتيب في الكشف.. وعليه فقدر

واحد مثلي أن ينتظر كل الأشرفات والأيمنات وبهجت وتامر وبهاء.. إلخ.. حتى يأخذ كل منهم درجته الوظيفية قبلي.. وفي لجان الامتحانات.. كنت أنا دائما في آخر كرسي.. أمثل بالنسبة للمراقب علامة مميزة وحدودا جغرافية للجنة التي يراقب عليها.. فلا يرفع عينه من عليا طوال فترة الامتحان.. والمشكلة لا تكمن فقط في الياء التي يبدأ بها اسمي دائما، أيضا في الواو التي تليها. فيظل حظ ياسر ويسري وياسين أفضل مني.. ولهم دائما السبق. ولا يمكن ان يأتي أحد بعدي في اللجنة إلا لو كان اسمه (ييبه). وهذا بالطبع ليس من الأسماء الواردة وعليه فقد رضيت دائما بالأمر الواقع.. كمن ولد بعاهة مستديمة.. مرددا دائما تلك الجملة القنوعة المسالمة خللوني أنا للآخر.. فأنا أخر من يأكل بعد أن يشبع البيت كله.. وأنا آخر من ينام بعد أن أطفئ الأنوار وأنزع فيش الكهرباء.. وأنا آخر من يشتري لنفسه قميصا واللا شرابا بعد كسوة العائلة كلها. محتفظا قانعا بدوري في الكشف .

وقد خسرت أشياء كثيرة في حياتي بسبب ترتيبي في الكشف.. فقد صدر قرار في مدرستنا الابتدائية ذات يوم بأن يوزعوا وجبة على الأطفال. وبدأوا بالفعل في توزيع الوجبات.. ولكنهم فجأة ولسبب لا أعلمه عدلوا من القرار بعد أن وزعوا على الجميع إلا من يبدأ اسمهم بحرف الواو والياء.. وكان زملائي (المحظوظون)

الذين في أوائل الكشف قد بدأوا بالفعل في الأكـل.. وأنـا أبلـع ريقي في انتظار وجبتي .. ولكن خلاص اللي أخذ أخذ. وفي العـالم الثالث.. مبدأ اللي يلحق هو المبـدأ السـائد.. وهكـذا لم ألحـق أي شيء في حياتي .

وفي بداية حياتي كمذيع.. كنت أقدم حفلة مع بعض الزمـلاء.. وكالعادة. جعلوني من يقـدم آخـر فقـرة وطلعـت المسـرح لأقـدم مطربا وكانت الساعة الثالثة فجرا.. وكان الجمهور كله يشـخر في سبات عميـق.. فوقفـت وقلـت.. أعتـذر في البدايـة لإيقـاظكم وإزعاجكم في هذا الوقت المتـأخر.. ولكـن حـان اللقـاء مـع نجـم الليلة.. وهو نجـم لا يحتـاج إلى تقديـم.. (فـهمس لي أحدهـم مـن الكواليس) ده مشي.. روح بيته خلاص.. فلم أرتبك وإنمـا قلـت.. هو نجم لا يحتاج إلى تقديم بالفعل لأنه لن يغني الليلة.. تصبحـوا على خير..

وكل زوجة تعامل زوجها على أنه آخر من تقدم للـزواج منـها باعتبار أنه الذي قبلته في النهاية وتسـتمتع الزوجـة دائمـا وهـي تصف لزوجها كم التضحية التي قامت بها لتقبل واحد زيه بعـد كـل مـن تقدمـوا لهـا مـن مليونـيرات ونجـوم سـينما وأصحـاب شركات..

لكنها لسبب يظل غامضا للأبد رفضتهم جميعا.. وكانت آخرتها ووكستها ده..

وتتجلى الزوجة وهي تعدد محاسن ومزايا هؤلاء الذين كانوا في أول الكشف من الخطاب والمريدين.. وحينما تشعر بأنها زودتها شوية.. تمن على (الأخير) الزوج يعني.. بكلمة واحدة.. بس كفاية أن أنت طيب.. ده عندي بالدنيا.

وهكذا صارت (العصبية الأبجدية) من الأشياء التي تنغص عليا حياتي.. وحتى لا أصبح حالة خاصة يمكن أن تتطور إلى مانلخوليا قررت أن أعمل تكتلات واتحادات بين هؤلاء الذين ولدوا فوجدوا أنفسهم في أواخر القوائم.. لنجتمع سويا ونواجه عالمنا وواقعنا المرير وليكن اسم الجمعية (هات م الآخر) واقترحت مجموعة من الاقتراحات التي لا بأس بها كارنيهات مثلا.. ندخل بها أي مصلحة حكومية.. فنمشي أول ناس أو أن نناشد وزارة التعليم أن تنزل النتيجة في عام من الآخر للأول.. وفي العام الثاني عادي.. وفي الترقيات مثلا.. إذا تساوى كل شيء.. لا يؤخذ بالكشف.. وإنما بشكل عشوائي يتيح الفرصة للجميع.. واجتمعت الجمعية اجتماعها الأول.. في أول الشهر في أول يوم في السنة تفاؤلا ولما يحمله اليوم من مغزى.. ودوّنا أسماءنا جميعا فى كشف.. وكالعادة.. كان أسمى آخر اسم.. وهكذا فشلت الجمعية

قبل أن تؤسس.. وهؤلاء الذين في أوائل القوائم دائما.. يخدعوننا بعبارات معسولة زائفة. فهذا. يقول لك.. الأخير حظه كبير.. وهذا يقول من يضحك أخيرا يضحك كثيرا .

يقولون هذا ويخلصون مصالحهم. ونحن نظل دائما في آخر الطابور في انتظار الدور .

عزيزي القارئ.. لا تحزن إذا خيب الحظ أملك المرة بعد المرة.. لأن الحظ يعاند كاتب هذا المقال على طول الخط.. ولا تحقد على أيمن أو أسامة أو أسماء. فقدرهم أن يكونوا دائما في المقدمة.. ألا ترى أين أكتب يا عزيزي) .. في االآخر صفحة .

إذ فجأتن

فلجأني الكاتب الجميل الأستاذ محمد زايد بأن اليوم هو غرة رمضان الكريم - أعاده الله على الأمة الإسلامية كلها بالخير والبركة.. و(مفاجأة) مجيء الشهر الكريم هي مفاجأة سنوية (سارة طبعا) نتلقاها بفرحة غامرة.. وبقليل من الارتباك أو (الخضة) من أن أشياء يجب أن نعملها.. ولم ننته منها بعد.. ولست الوحيد الذي يفاجأ.. التليفزيون يفاجأ.. والمصالح الحكومية تفاجأ.. والبيوت تفاجأ وكنت قد أرسلت مقالا.. ولكن كان يجب أن أغير المقال - طبعا - وأكتب عن رمضان حيث إن الملحق بمقالاته ورسومه البديعة يحتفل برمضان ولا يصح طبعا أن تكون الحالة الرمضانية الجميلة هذه سائدة على الجميع ويظل أخوكم هكذا في الطراوة أكتب وكأنني في رجب أو في شعبان .

أهلا رمضان.. اتفضل.. خطوة عزيزة.. يا ريت أيام السنة كلها رمضان - على الأقل حتى لا نفاجأ.. تلك هي (أيامنا الحلوة) فعلا.. ونعود لفكرة (المفاجأة) التي أربكت البعض.. فمجيء الشهر الكريم يتطلب استعدادات فاطمية ومملوكية وأيوبية

وتليفزيونية لاستقباله والاحتفاء بــه.. وجيــوش العــاملين في هــذه الأمور يفاجأون مثلي بطلة الشهر الجميل وهلته الحلوة.. فيوصلون الليل بالنهار لإنجاز أقصى ما يمكنهم أن يعملوه في أســرع وقــت.. ولما كانت الفوازير من الأشياء التي تدهــور مســتواها في الأعــوام الماضية واتبهدلت بسبب عنصــر المفاجــأة الــذي يــؤدي غالبــا إلى السلق والكروتة.. ومن ثم إلى.. دعــاء الصــائمين علــى القــائمين بها.. فقد أتى هذا العام بلا فوازير.. وكان هذا يمثل مفاجــأة ســارة أيضا للمشاهدين وقد تعــود النــاس علــى تــأجيل كــل شــيء في الأسبوع الذي سبق رمضــان.. وفي أي مصلحــة حكوميــة إذا كــان لك طلب قبل رمضان بكام يوم فــلا تزعــل إذا وجــدت الموظــف يخاطبك في زهق وهو يحسب في ورقة من أوراق المصلحـــة فواتــير رمضــان وحســابات اليــاميش واللحمــة والفــراخ والكنافــة.. ولا تغضب إذا قال لحضرتك فوت الأســبوع ده الله يخليــك أمــا يخــش رمضان.. يوم ولا اثنين يعدوا منه وابأه تعالى.. وحينما يأتي الشــهر الكريم يأتي الموظفون ساعة متأخرة ويخرجون ســاعة بــدري.. فــإذا حذفنا الساعة التي يتهيأ فيها كل منهم للعمل بالإضافة إلى ســاعة أخرى وهو يتهيأ للخروج.. يتبقى له ساعة واحدة.. مما يجعله بحــق.. رجل الساعة.. ولا شك في أن الأسبوع الأول من الشــهر الكريــم يحتاج إلى بعض التعود على النظام الجديد فــالموظف لم ينــم جيــدا بعد السحور وظل الليل كله قبله ســاهرا أمــام التليفزيــون أو في خيمة مع أولاده وبناته يشيشون.. ولذلــك يصبــح عصبيــا بعــض

الشيء ويجب أن نراعى ظروفه.. ولا داعي لكل هذه الثورة لمجرد أنه قال لك : تعالى بعد نص رمضان !!

يا سلاااام أيام الشهر الكريم تمر هوا.. مش قلت لك؟! أدينا بقينا في ستاشر منه.. شفت بيعدي ازاي؟! ستذهب إلى المصلحة لتجد طلبك في دقيقة ممضيا والموظف في انتظارك.. ألم أقل لك.. ها هو يستقبلك ببشاشة وابتسامة جميلة.. أن آخر رمضان غير أول رمضان خالص.. لقد تعود الموظف على الوضع بل وأحبه.. الحق وأمضي الطلب قبل أن يؤجلك إلى رمضان القادم. أنه يقول لزميله بسعادة.. لا جوع ولا عطش يا أخي.. أيامه حلوة قوي.. إذن الفرصة مناسبة الآن.. خش عليه.. وقدم الطلب.. رمضان كريم!! الله أكرم!!.. بس الطلب اللي كنت جيت لحضرتك علشانه قبل رمضان.. وقلت لي خليك لأول رمضان وبعدين نص رمضان؟!! يبتسم ويقولك.. آه.. أيوه.. طبعا.. أوعى تكون زعلت مني عشان كشيت في وشك شوية.. هنا سترد أنت في طيبة وتفهم للموقف طبعا طبعا.. سينظر في الطلب ويقولك.. بقولك أيه.: أنت تجيلي بعد العيد في الرواقة كله ونخلص كل حاجة.. أنت شايف الساعة كام دلوقت.. كلها ربع ساعة وكلنا ح نمشي والموظف اللي معاه الختم واخد إجازة عشان من طنطا وبيحب يقضي الأواخر في السيد البدوي !!

ولأنه أتى (فجأة) كما يعتقد الكثيرون.. يهجم الناس هجمة مهولة ليلة رمضان على بائعي الفول والزبادي والياميش وكل

باقي الروشتة التي اتفق عليها الفقهاء من الناس والـتي تعـارض كل روشتات الأطباء.. ولكن خليها على الله .

فأنا كمريض سكر.. أعرف من الآن أنني لـن أقـاوم الصوانـي إياها وأشعر بأنني داخل على غيبوبة من الآن.. فمــن هــذا الـذي يكتفي بقطعة كنافة واحدة أو بقطايفاية واحدة والصينيـة غرقانـة في العسل أمامه.. وشفشق الخشاف الذي لن أتردد في أن (أأربعه) على بق واحد على الريق مزدردا قطع البلح ونشـارة جـوز الهنـد والتـين ومـا شـابه يحتـاج إلى شفشـق أنسـولين علـى الأقـل.. إن بنكرياساتنا في حالة ذعر من الآن.. ولكن أجمل ما في رمضـان هـو تلك اللمة والتئام الشمل حينما تجلـس العيلـة كلـها في انتظـار المدفع وكل واحد فينا مركز في طبق وناوي يبدأ به.. فهذا ينظر إلى طبق البامية بشوق.. وهذا ينظر إلى صينيـة البطـاطس برومانسـية وهذا ممسكا بخياراية من الظهر محنطـا إياهـا في يـده إلى أن ينطلـق مدفع الإفطار فتنطلق الخياراية داخـل فمـه كقنبلـة ذكيـة.. وتبـدأ حركـة الشـوك والملاعـق والسـكاكين والأسـنان والأنيـاب والضروس.. كسيمفونية رائعة تخلو لها الشـوارع كلـها وتنصـت الأشجار ولأول مرة تصمت المدينة في أروع حظر تجول تشهده كل عام إجلالا واحتراما لهذا الطقس البديع.. كل سنة وأنتم طيبـون.. و.. اتفضلوا معانا ..

اللي فلح .. أكل البلح

برغم أنني مريض سكر معتمد طبقا للتحاليل الرسمية وأن مرض السكر ليس به أي ادعاء، وبرغم أن زوجتي تعمل رجيما قاسيا - كما تدعي - وبرغم أن ابنتنا تدعي أنها لم تكمل الثانية من عمرها بعد.. برغم كل ذلك إلا أنني لا أدري ما الذي دفعنا لكي نخرج جميعا تلك الخروجة العبثية لذلك الشادر الذي يبيعون فيه الياميش والمكسرات وقمر الدين.. وتلك الأشياء التي لا تخص أيا منا.. والتي ندعي أننا لا نأكلها أبدا.. كان الشادر مزدحما بصورة لا تطاق.. أكثر من ألف بني آدم على أقل تقدير.. كلهم بلا استثناء داسوا على قدمي.. واعتذروا حتى تحولت أصابع قدمي إلى مكسرات.. قالت لي زوجتي وهي تأمر البائع بأن يلف خمسة كيلو قمر الدين وثلاثة كيلو زبيب ومثلها جوز هند.. لعلمك أنا ما أحبش الحاجة الحلوة أبدا أنا أحب الحاجة المزة ثم قالت للبائع.. حط بأه اثنين قراصيا وهات صندوق الملبن ده كمان..ثم عادت لتبرر موقفها الإرهابي هذا قائلة لي.. كله عشان البت. تعيش وتجيبلها ونظرت إلى ابنتي (البلية) التي داست على قدمي هي

الأخرى ولم تعتذر.. حيث كانت تحاول بكل استطاعتها أن تصل إلى قمة شوال بلح حتى تفتحه وتفرغ ما فيه على الأرض كحركة عيالي من حقها أن تمارسها في هذه السن.. نظرت إليها وأنا أتعجب وأتشكك في نفس الوقت إذا كانت تدرك أن كل ما نشتريه الآن هو من أجلها.. وهل ستذكر لي حينما تكبر هذا (الواجب) الذي عملته معها وهي دون الثانية؟!! وأفقت على صوت زوجتي التي تحب الحاجة المزة وهي تقول للبائع.. اثنين عين جمل وثلاثة فستق وبندق وجوز ولوز.. ثم سألته و هي تتأمل أشولة البلح.. مفيش بلح من الحلو؟ وابتسم البائع وغمز لنا ثم أشار لنا أن نتبعه حيث المخزن والحاجات اللي هيه اللي مش لأي حد، ثم فتح شوالا وأخرج بلحة لكل واحد فينا.. وقال .. دوق يا بيه.. فاعتذرت بسبب السكر.. ثم هرس البلحة بيله فتحولت إلى بودرة.. وقال أعلى بلح في مصر كلها.. مسميينه (بن لادن) بس غالي شوية.. ما بنطلعش منه غير للحبايب. الكيلو بعشرين جنيها.. وشعرت بأن برجا من نافوخي سيطير.. قلت له لأ.. ا حنا حناخد بلح من العادي مش عاوزين مشاكل فقال البائع: اسمع يا بيه أنا عارف طلبك.. جايالي بلحة حلوة قوي وطرية من لبنان.. أهيه.. اسمها (الفوركاتس) .

فمددت يدي والتقطت بلحاية من (الفوركاتس) وقلت للبائع.. ممكن أدوق.. وما كدت أقربها من فمي وجدت زوجتي تخطفها من يدي وتعيدها إلى الشوال وقالت بحدة.. مش عاوزين

بلح ثم قالت لي بحلة.. أنت مش عندك سكر؟! الدكتور مش مانع الحاجات دي ؟

وداست زوجتي على قدمي.. ولم تعتذر.. وإنما أخذتني أنا والبنت والدادة هيلا بيلا كده وأصدرت أمرا لا رجعة فيه بالعودة إلى المنزل.

وأفسحنا لنا طريقا بصعوبة بين الزحام الرهيب.. فلخول الياميش مش زي خروجه، وفي طريق الخروج دست على أقدام كل من داسوا على قدمي قبل ذلك.. ولم أعتذر.. وقبل أن تنقلب الليلة إلى خناقة بسبب أن زوجتي ضبطتني وأنا أتذوق (الفوركاتس) قلت لها يا عزيزتي.. هذه مجرد أسماء.. يطلقها المصريون بخفة دم منقطعة النظير خذي عندك مثلا.. قمر الدين.. لاحظي ذكاء الاسم!! والخبث في اختياره (قمر) بما يحمله المعنى من الجمال والرومانسية.. ثم (الدين) بما يحمله من قدسية وجلال وهكذا.. أنت تأكل وتتمتع وتكسب ثواب كمان.. وما الذي جعلهم يسمون الآخر هذا (عين جمل) من استطاع أن يرى عين الجمل إلا إذا برك على الأرض !!

ثم (جوز هند) يا عزيزتي.. تأملي معي الكلمة.. جوز هند.. إن الناس كلها تحب أن ترى جوز هند مبشورا ومرشوشا فوق المهلبية والمشمشية فهل هذا تعاطفا مع هند المخلصة الوفية؟! و(لقمة القاضي) لاحظي الدقة في التعبير.. (لقمة)!! بكل ما بها من تواضع وقناعة.. ثم (القاضي) رمز العدل والعدالة.. كل هذا في

قطعة من الحلوى ما أروع المصريين، هل ذقتي (صوابع زينب) الله عليها!! أتخيل أناملها الرقيقة وهي ترش العسل.. تحفة!! و(أم علي) أشهر وألذ أنواع الحلوى.. إنها أم المنصور علي التي قتلت (ضرتها) شجرة الدر وفرقت حلوى على الناس كلها فكان كل من يستلم منابه يسأل.. ما هذا؟.. يقول الحرس.. دي أم علي.. وأخذتني الجلالة وأنا أحاضر في هذا الموضوع اللذيذ الغارق في السكر.. برغم أنني كمريض سكر ممنوع من التعرض لمثل هذه الموضوعات.. وكنت قد تصورت أنني استطعت بعبقرية فذة وقدرة فريدة على تغيير الموضوع أن أنسيها موضوع (الفوركاتس).. ولكنها قاطعتني بنفاد صبر قائلة.. ولما أنت ممنوع من السكر.. ايه اللي خلاك تذوق البلح عشان قالك اسمه (الفوركاتس) ؟

قلت لها يا عزيزتي : دي بلحة مش ح تأثر.. هوه أنا أكلت أربعة؟!!

قالت لي في غضب : ولما هيه بلحة مش ح تأثر ليه رفضت تذوق بلح (بن لادن) وعملت فيها عيان .

فقلت لها : أنا عندي سكر عصبي. وبلح (بن لادن) ح يعصبني أكثر.. في المساء. كلمني صديقي الذي فتح محلا لبيع الياميش والمكسرات.. يلومني على أن أحدهم شاهدني وأنا أشتري الياميش من محل آخر.. وقال معاتبا يا أخي ده أنا عامل لك بلح مخصوص باسمك.. بلح معاطي.. فقلت له متوسلا طيب أبوس أيدك أبعدني عن شوال (الفوركاتس) !!

عين جمل

ألم أقل لكم.. ها نحن قد صرنا في نص رمضان.. الأيام الحلوة تمر أسرع من البرق في سلامة ويسر وكأنك تركب بساط الريح.. مر أسبوعان.. ما شاء الله. اللهم لا حسد.. كأنهما لحظتان.. ولكن أصعب فترة.. هي تلك الفترة التي بين الإفطار والسحور، أعني الفترة التليفزيونية أعان الله الأمة الإسلامية على تحمل مشقتها.

وفي الشهر الكريم قيم إنسانية رائعة.. يعلو شأنها فلا كذب ولا نفاق.. ولا حسد ويصوم الأغنياء عن الطعام ليشعر بما يشعر به الفقراء.. ويصوم الفقراء أيضا ليشعروا بما يشعر به الأغنياء في الصيام. وتتوحد الأمة كلها في لحظة انطلاق مدفع الإفطار ولا يهم إن كانت المائدة في قصر منيف أو على حصيرة.. أو في موائد الرحمن أو حتى في كهف من كهوف أفغانستان .

وفي هذا الجو الرائع لا يجد الحاسد فرصة لكي يمارس هوايته.. ونفس العين التي كانت تفلق الحجر نصفين.. صارت ناعمة بريئة.. كأنها عين جمل.. ولقد عانيت من الحاسدين أشد معاناة وخصوصا في المواقف التي لا مكان للحسد فيها.. فقد أصبت

إصابة بالغة في حـــادث مـروع تحطمـت سـيارتي فيـه تماما وجـاء الأستاذ (حقود حاقد) ليواسيني فقال حمد الله ع السلامة.. بيقولـوا العربية كانت آخر موديل يا عم.. قلت له.. يا راجل ده أنا دخلـت الإنعاش فقال.. بركة أنك طلعت.. مش كنت في مستشـفى خمس نجوم يا عم ما لازم تطلع سليم ، ده أنـت بايضـالك في القفـص.. وصدق قول الشاعر (حتى على الموت لا أخلو من الحسـد).. وقـد قال لي الأستاذ رجاء النقاش في توصيفـه المثقـف لفكـرة الحسـد.. الحسد يا بني هو الحب.. فالذي يحسـدك.. هـو الـذي يـرى مزايـاك بصورة مكبرة واضحة.. إنه يفتح عينيه على الآخر.. وهو ينظـر إلى ما عندك ويتمنى أن يكون مثلك.. الحسد هو حالة مـن الرغبـة في التقمـص والتشـابه والتمـاثل، والـذي لا يحسـدك لا يـراك.. ولا يعرف قيمتك.. ومن الأمور المسـلمة أننـا لـولا النظـر مـا علمنـا بوجود شيء من المرئيات ومـا انبـهرنا بشـيء، ولـولا السـمع مـا أدركنا شيئا من المسموعات.. ويقال مثـل ذلـك علـى المشـمومات والملموسات والمذوقات.. وبالجملة لولا حواسنا ما علمنا مـن أمـر هذا الكون شيئا.. والإنسان الفاقد لحواسـه فـاقد للتصـور أيضـا.. فليست العين فقط التي تحسد (الأذن تحسد قبل العين أحيانا) فإذا سمعنا عبد الوهاب نحسده ونقـول.. الله إيـه ده.. يخـرب بيـت جمـال صوتك.. وحتى الأنف يحسد.. واللسان يحسد فها هو يتذوق صينية بطاطس من أيد مراتي فيقول.. تيجي مراتي تشوف!! مع أنـي أنـا اللي عامل الصينية !!

ولكنني أرى نوعا جديدا من الحسد.. وهو الحسد القائم على عدم الرؤية وعدم الإحساس.. وتدبير مؤامرة الصمت الكبرى على كل إبداع متوهج.. فهناك من يحسد عبد الوهاب على جمال صوته ويعلنها.. وهذا حاسد تقليدي.. أما الحاسد الأكبر فهو الذي حينما يسمع عبد الوهاب.. لا يسمعه.. أو يقول لك.. مين اللي بيغني ده؟

وهو هنا لا يعتمد على الجهل وإنما على (التجهيل) ولا يريد أن (ينصف) المبدع وإنما يريد أن (ينسفه) وقد استخدمت الحيوانات حواسها في أغراضها الفسيولوجية فقط.. ولم يحسد (الصقر) أحدا رغم قدرته الهائلة على الرؤية الثاقبة ولم يفلق الحجر نصفين.. وحاسة الشم عند الكلاب رغم ارتقائها عنها عند الإنسان لا يستخدمها الكلب إلا في معرفة صاحبه أو سالحبه.. والسبب هو تفاوت في الإدراك عند الإنسان، وهذا الإدراك هو الذي يحول الحواس إلى معان مرتبطة بالإعجاب.. أو الحسد.. وهذا التفاوت في الإدراك موجود أيضا بين الإنسان والإنسان.. وأسبابه كثيرة ترجع إلى اختلاف الأحوال والظروف.. وفي بعض القبائل البدائية لا يدركون من الأعداد ما يتجاوز الخمس حتى أنك لا ترى في لغتهم ألفاظا تعبر عن ذلك.. وفي قبيلة من قبائل استراليا البدائية كان عندهم لفظ (نتات) يعني واحد (ونايس) يعني اثنين، فإذا أرادوا التعبير عن (الثلاثة) قالوا (نايس نتات) أو أربعة قالوا (نايس نايس) أو خمسة قالوا (نايس نايس نتات) أو ستة

قالوا (نايس نايس نايس) أما السبعة والثمانية وما وراءهما من أعداد.. فيقفون عندها منذهلين. مندهشين وتضيق دونهم سبل التصور فيعبرون عنها بقولهم (كتير) فإذا قالوا ده عنده فلوس كتير.. ليس معنى ذلك أنه مليونير وإنما يمكن أن يكون معاه سبعة جنيه وربع؟!

ولهذا فكل من يملك أكثر من سبعة يستحق الحسد عند قبائل استراليا.. أما موظف غلبان زي حالاتي.. فيمد يده في جيبه يوم (نايس في الشهر) فلا يجد (نتات) وإذا اتفقنا مع مقولة الأستاذ رجاء النقاش في أن الحسد هو الحب.. فالحبيب لا يحسد حبيبته فقط على جمالها وأنوثتها ورقتها في كل قصائد الغزل المليئة بالحسد وإنما يحسد الحبيب أيضا هؤلاء الذين يحبون ولا يتعذبون مثله في الحب.. وكلنا سمعنا عبد الوهاب وهو يقول.. صعبان عليا أشوف غيري عاش متهني.. يعني عبد الوهاب عاوز كل قصص الحب تولع وتقوم فيها حريقة طالما أنه معذب في حبه.. أما (القرار) الكبير فهو الشاعر الرائع (عبد الرحمن الأبنودي) الذي كتب لحبيبة تحسد حبيبها قائلة (وانا رمشي ما داق النوم وهوه عيونه تشبع نوم.. روح يا نوم من عين حبيبي..) ويبدو أن هذا هو الحب فعلا.. فلو دعت الحبيبة على حبيبها بأن ينام نوما عميقا ويستغرق في سبات طويل.. تبأه أكيد نيتها مش قد كله وعندها مشوار تاني رايحاه.. اللهم أني صائم.. اللهم لا حسد .

ده قصر جيل !!

يا له من جيل رائع ذلك الذي ننتمي إليه.. كل الأخطاء ننسبها إلى الجيل الذي سبقنا ونترك إصلاحها للجيل الذي سيأتي بعدنا فالكهول.. والصغار أيضا دائما لديهم كل الإجابات.. بينما أولئك الذين بين الاثنين.. إحنا يعني.. يتمسكون بالأسئلة فقط!! كل عام وأنتم بخير.. العيد على الأبواب.. أرجوكم استمتعوا بالعيد.. ولا تسمعوا كلام الجيل السابق عن جمال العيد زمان.. ولا تتأثروا بحسرتهم الدائمة على أيامهم الجميلة الفائتة إنهم يحقدون وهم يقولون لنا.. هو أنتوا شفتوا أعياد ولا شفتوا حاجة!! وصدقوني.. إنهم أيضا يكذبون.. هيه مرجيحة واحدة.. كانت في آخر البلد والعيال أجدادنا يعني كانوا واقفين طوابير أمامها ولا يملكون مليما واحدا لركوبها ولم تكن الحلوى سوى عسلية.. أو أقماع السكر الأسود أو الحلاوة الطحينية آدي العيد بتاعهم.. كان أجدادنا محرومين.. وهذا الحرمان هو الذي جعلهم يتمتعون بكل شيء بسيط أو تافه يصبح متاحا لديهم.. أما أنتم يا عيال.. فلديكم كل شيء.. فأراجيحكم الكهربية قمة في التكنولوجيا والإثارة.. يضغط أحدهم على زر فتجد نفسك في السما.. ثم تهبط في ثانية

واحدة على الأرض.. ولا حاجة لعم فتح الله العجوز الذي كان يدفع الأرجوحة بذراعه المفتانة.. ويا دوب.. تتهز هزتين وتخلص اللفة.. ستمسكون بالريموت وتلعبون بالبلاي ستيشن وتعيشون في مغامرات مهولة وهم.. أجدادكم يعني.. كانت متعتهم الكبرى - أن يلعبوا السبع طوبات وبرطوس شلح ولا تصدقوا نصائحهم الكاذبة. من أن العالم الآن في حالة حرب.. وأن إخوة لكم يموتون كل يوم.. لا.. العبوا وامرحوا.. إن المرح هو تأكيد لكرامة الإنسان وإعلان عن سموه عن كل ما يحدث له.. إن أروع ما في الانتفاضة.. أنها تبدو كلعبة.. أطفال يجرون ويقذفون الدبابات بالأحجار.. والدبابات تتراجع.. ما أروعها من لعبة.. إن أجدادنا يريدوننا أن نكون صورة طبق الأصل منهم.. يحاسبوننا على ما نفعل بنفس الحساب الذي حوسبوا به.. فالدكتور يريد أن يكون ابنه طبيبا مثله.. والمهندس يريد عنده في البيت باشمهندس صغير.. هم لا يحبوننا.. إنما يحبون أنفسهم.. فهو اسمه عبد الحميد.. وحينما أنجب ولدا أصر أن يسميه عبد الحميد أيضا وذات يوم رن التليفون فأجابت الزوجة.. من المتحدث.. فسمعت صوتا يقول.. هل أستطيع أن أتحدث إلى عبد الحميد.. فسألته الزوجة.. عبد الحميد الكبير أم عبد الحميد الصغير؟ فأجاب المتحدث عبد الحميد الكبير كما أظن.. اللي في رابعة ابتدائي!!!

إن آبائنا وأجدادنا.. لا يكتفون بأننا نحمل أسماءهم.. إنهم يريدون أن نكرر قصة حياتهم وأن نلعب مثلهم.. وأن نسعد لما

سعدوا به.. فما أسعد الأب وهو يقول متباهيا.. الـواد طـالع حتـة مني.. إمبارح شخط في أمه حتة شخطة!! كأن أبوه اللـي بيشـخط.. هاها.. ولم يشأ أن يكتشف هذا التشابه حينمـا ضربـت الأم ابنـها بالشبشب حتة علقة!! وقد سأل أحدهم سارة تشرشل هل عرفـك الناس كممثلة لما أحرزته من سمعـة فنيـة أم لأنـك ابنـة تشرشـل فقالت سارة.. لقد فاتحت أبـي ذات مـرة في تغيـير اسمـي فقـال..لا تفعلي ذلك أبدا.. إن الشهرة تخفي عيوب أصحابها.. وهـذا الـرد (الخبيث) لتشرشل يعني أن سارة كانت ممثلة تعبانة قوي!!

اسمعوا كلامي يا عيال.. عيدوا بطريقتكم أنتـم.. فـهذا عيدكـم وليس عيد الحاج متولي.. فهو يرى العيد من وجهة نظره كما تقول الأغنية بدنا نتجوز عالعيد وبدنا نعمر بيت جديد.. هو حـر.. ولا أحد يناقشـه في ذلـك.. أنتـم أيضـا لكـم طريقتكـم في الاحتفـال بالعيد.. العبوا في الشوارع.. قطعـوا هدومكـم.. احرقـوا العيديـة كلها في البومب.. صدعونا.. اقلبوا دماغنا.. ونحن مجبرون علـى أن نحبكم.. مهما اعترضنا الحب معناه أن تحب مـا لا يحـب والغفـران معناه أن تغفر ما لا يمكن غفرانه.. والأمـل معنـاه أن تـأمل عندمـا تكون الأمور لا أمل فيها.. إيه الكلام الكبـير ده؟ ولا يـهمكم.. لا تسمعوا كلامي أنا أيضا.. ولا تعيروا اهتماما للأزمة الاقتصاديـة.. ولا للحروب.. وأنا شخصيا إذا سئلت ذلك السؤال الشهير قبـل الموت نفسك في إيه قبل ما تموت.. سـأرد بثقـة نفسـي أسمع آخـر نكتـة – نعـم.. وربمـا مـت مـن الضحـك أيضـا.. كـان الدليـل

السويسري يصحب أحد السياح الأمريكيين في تسلق بعض الجبال الشاهقة.. وقال له كن حريصا جدا حتى لا تسقط في هذا المكان الخطر.. ولكن إذا سقطت فلا تنس أن تنظر إلى يمينك وأنت تهوى من فوق قمة الجبل.. فالمنظر هناك بالغ الروعة.. إنها نصيحة قالها لكل الذين سقطوا قبل ذلك.. ومن عمل بها.. مات وهو يرى الطبيعة الساحرة.. ومن لم يعمل بها مات أيضا.. ولم ير أي شيء.. كنت أتمنى أن يكون مقالي أطول من ذلك.. ولكن هيهات.. فأنت يا عزيزي الآن تفعل كل شيء بسرعة.. أسانسيرات وسلالم متحركة وسيارات تنهب الأرض نهبا.. الكل يجري.. فهذا يشتري ملابس العيد.. وهذا يحاول أن يفي بوعوده لأطفاله.. وهذا يشتري لعبا وبالونات.. الكل يريد أن يلحق العيد.. وأطفالنا هم أبطال الأيام الثلاثة القادمة.. وطلباتهم كلها أوامر.. وأنت خارج من رمضان.. وبقيت عالحديدة.. وداخل على امتحانات والدروس الخصوصية ستنحل وبرك.. لكنه.. ورغم كل ذلك.. هوالعيد.. فلماذا أتصور أنك ستقضي وقتا طويلا لكي تتمعن في أفكاري.. جالس أنت في حديقة الحيوان.. حارسا لأطفالك وإقامتك محددة على الكرسي.. لا تفز إلا إذا صرخت المدام.. الحق الواد.. خرم عين السيد قشطة بالعصاية.. ولا يهمك.. لا تنزعج.. سيب المقال.. وروح شوف موضوع السيد قشطة.. كل سنة وأنت طيب .

الكارنيه .. لو سمحت

كان الكومساري في الأتوبيس يمسك بلوحة خشبية صغيرة عليها الفئات المختلفة من التذاكر.. وحتى لا يبح صوته طوال اليوم آلاف المرات وهو يقول تذاكر.. تذاكر كان يكتفي أحيانا بخبطة صغيرة على قاعدة اللوحة ليتنبه الراكب ويطلع الفلوس ويأخذ التذكرة.. أو أن يقول الراكب بألاطة : أبونيه.. وهنا إذا كان الكومساري مزاجه مش قد كده.. يقول له.. أشوفه.. وإذا كان رايق.. يتجاوز الراكب أبو أبونيه إلى من يليه.. ويخبط خبطته.. واحد فقط كان يرد على خبطة الكومساري بكلمة لا نقاش بعدها.. كلمة قاطعة حاسمة.. كان يقول له.. بوليس.. فيهز الكومساري رأسه بأدب.. ويمضي ..

وكثيرون كانوا يفعلونها ولا يدفعون.. يقولونها كأنها كلمة سحرية مثل افتح يا سمسم وكان الكومساري كثيرا ما يعتمد على فراسته في التفرقة بين البوليس الحقيقي والمزيف فإذا وقع تحت يده أحدهم.. كان الأتوبيس كله يغير مساره إلى قسم البوليس الحقيقي مش بتقول بوليس.. أوريك بأه البوليس .

وفي النوادي.. يزعل جدا بعض الأعضاء إذا طالبهم فرد من الأمن بالكارنيه عند الدخول ويصرخ فيه العضو.. أنت مش عارف أنا مين؟ أنت إيه جديد هنا ولا إيه.. أنا ح أكلم مدير النادي.. وهذا العضو نفسه هو الذي ثار حينما دخل أحد الغرباء إلى النادي وعمل كارثة.. وصرخ في مدير النادي.. الأمن كله لازم يتغير.. الراجل ده دخل إزاي!! إن دخول الأماكن الخاصة المغلقة مسألة تحتاج لأن تبرز هويتك مهما كنت ومهما كانت قيمتك.. ولا داعي لإرهاب الكومساري أو فرد الأمن (الغلبان) الواقف على البوابة.. وقد عزمني أحدهم ذات مرة على سهرة في مكان لا يدخله إلا الأعضاء الدائمون.. ولما كنت لست عضوا قلت لا داعي لإحراجي.. فأقسم أن أذهب معه.. وفتح صدره وقال لي.. حتخش غصب عنهم.. أنت مستقل بيا ولا إيه؟ انت جاى معايا .. وذهبنا وعند البوابة استقبلني فرد الأمن بكل بشاشة في الحقيقة وقال لي .. أستاذ يوسف.. نورت المكان أهلا وسهلا.. اتفضل.. وتفضلت.. ولكن قبل أن يدخل صديقي (العضو) أمسك به فرد الأمن وقال له.. الكارنيه يا باشا لو سمحت.. وثار صديقي وانفعل.. وكادت تحدث مشاجرة لم يحلها سوى أنني قلت لفرد الأمن.. سيبه ده معايا.. ومع ذلك ورغم أنني أعمل بالتليفزيون منذ خمسة عشر عاما.. فقد استوقفني أحدهم الأسبوع الماضي وقال لي.. الكارنيه لو سمحت.. الباشا طالع فين.. فقلت له بأدب.. أبدا.. طالع أذيع.. إذا كنت عاوزني أذيع قول ذيع.. لو عاوز ما تذيعش

قول ما تذيعش.. ولم أزعل.. فهو رجل يؤدي عمله على أكمل وجه ولو كان مثله موجودا في جزر القمر لما حدث ما حدث.. إنها نكتة.. مائة رجل وفي قول آخر عشرون.. نزلوا من أحد القوارب في جزيرة اسمها موهيلي وهي إحدى جزر القمر واستولوا على الجيش والشرطة ورستأوا أنفسهم في الجزيرة بعد أن وزعوا منشورات على الناس بأن رئيسهم إرهابي وأنهم أتوا لحمايتهم وأنهم يمثلون جيش الولايات المتحدة وأن تدخلهم هذا في إطار مكافحة الإرهاب .

كيف حدث هذا.. ألم يسألهم فرد أمن على أي بوابة.. رايحين فين يا بهوات؟!! أشوف البطايق والله!! لقد تعاملوا مع الجزيرة بطريقة الراكب المزور.. بتاع تذاكر.. بوليس.. ولم تفلح فراسة سكان الجزيرة في أن تعرف هل هم أمريكان فعلا أم مزوغين من الكومساري.. أن أمريكا تحارب الإرهاب.. ولكن هل ترهب الدنيا كلها في مكافحتها للإرهاب؟! وفي واشنطن رفضت وزارة الدفاع التعليق على ما حدث وقال المتحدث ما عندناش فكرة عن الموضوع ده!! ومع ذلك فيجب أن نذكر أن البوليس الأمريكي هو الذي اخترع تلك الطريقة الرائعة في القبض على مجرم.. يبرز الضابط بطاقته في عين المجرم بعد أن يكتفه.. ويقول له.. بوليس.. ثم يقول له أنت مقبوض عليك بأمر القانون.. ولك كافة حقوقك في الدفاع عن نفسك أمام المحكمة كل كلمة ستقولها محسوبة

عليك.. إن هذه (الديباجة) الجميلة الحضارية من شأنها أن تـهدئ المجرم والضابط في نفس الوقت.. وتحل الموقف ..

فليس منطقيا لضابط وهو يبرز بطاقته ويقول كل هذا الكلام الكبير.. أن ينزل في المجرم ضرب وشلاليت وبونيات.. ولكن يبدو أن العالم الآن يمر بحالة عصبية ونفسية سيئة، وفي حرب أمريكا ضد الإرهاب.. سنرى أدوارا ثانوية لإرهابيين هواة.. وحكايات عجيبة لمن يستغلون الموقف باسم مكافحة الإرهاب.. وإذا كان (البنتاجون) قد صرح بأنه معندوش فكرة عن حكاية جزر القمر.. فيجب أن يكون عنده فكرة وأن يحقق ويتدخل ويعاقب هؤلاء الذين استغلوا اسم أمريكا في عمل إرهابي (برضه).. فإن تكون أنت القوة الوحيدة في العالم مسألة رهيبة.. ومسئولية فظيعة.. ويحكى أن لويس الحادي عشر كان يفعل ما يريد ولا يستشير أحدا ويكره المستشارين ولا يجعل أحدا منهم يتقرب إليه وفجأة مر أحد الأشراف وكان الملك راكبا فوق جواده.. فقال له.. يا صاحب الجلالة إن جوادك هو أقوى شخص في المملكة.. فقال له الملك لماذا.. فقال الرجل لأنه يحمل على ظهره.. الملك.. ومجلس الشورى والسلطة التشريعية والسلطة التنفيذية معا إن جوادك هذا ممكن أن يعمل مصيبة يا مولاي ..

إن شخصا ينتحل صفة أمريكا ويدعى مكافحة الإرهاب.. ويدخل شمال في أي حد.. أخطر ألف مرة من ألف بن لادن .

الحاج متولي مرشح لجائزة نوبل

لا شك أن الحاج متولي لو لم يكن (تاجر قماش) لصار (كاتبا عظيما) وإذا كان لي أن أهنئ الأستاذ مصطفى محرم كاتب المسلسل على النجاح الأسطوري الفريد.. فهل لي أن أقترح عليه أن يكتب لنا جزءا ثانيا يتجه فيه الحاج متولي إلى الكتابة.. يتفرغ لها ويعتكف في شقته اللي فوق ينعزل فيها عن حريمه - كما يفعل أحيانا - ويبدأ حياته الأدبية التي أتوقع لها نجاحا باهرا.. ويكتب كتابه.. ليس على يد مأذون.. وإنما يقدم لنا كتابا حقيقيا أو عملا أدبيا رفيعا ينافس به كافكا وتشيخوف وتولستوي..

أما عن العلاقة بين الكتابة وبين الحاج متولي فهي تتلخص في هذا الجو الرائع الهادئ الذي يعيش فيه الحاج وتوفره له زوجاته ويحطنه به.. إن هجوم الكتاب والأدباء على المرأة وعداءهم (المعلن) لها.. إنما ينبع غالبا من مسألة شخصية أو تجربة حقيقية.. فالكتابة هي في الأساس فكرة تلح على المخ وتظل هكذا تلح وتطير النوم من عين الكاتب.. والمرأة هي في الأساس فكرة تلح

على المخ طوال الوقت ايضا.. وما أصعب علــى الكـاتب مـن أن تتجاذبه فكرتان ملحتان في وقت واحد.. فبطلة الرواية التي يكتبها تزن عليه طوال الوقت.. وبطلة (البيت) لا تتوقف هي أيضا عـن الزن.. والكاتب - أي كاتب - طبعا لا تتوافر له الإمكانات المادية الكبيرة التي عند الحـاج متـولي لإسـكات هـذه أو تلـك.. وهـو لا يستطيع أن يعدل مع واحدة فقط فما بالك بمثنـى وثـلاث وربـاع ولكنه بالتأكيد مع ظـاهرة (العنوسـة) قـد يجـد مـن تقبـل بـه أو تعطف عليه وقد يجد من تطمع فيه أيضا.. مـا لكـم تضحكـون!! طبعا بتقولوا حتطمع ازاي في واحد (وائع) زي ده؟! لا يا أعزائي.. فليس الطمع مقصورا على (كوليبه) ألماس مثلما فعلت (ألفـت) الزوجة الخامسة مـع الحـاج متـولي.. ربمـا تـأخذه إحداهـن (متـولي الكاتب) إلى سور الأزبكية وتهمس في أذنـه : يـا ميتـو يـا حبيـبي عاجبني قوي كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه.. ح أموت عليه.. نفسي تجيبهولي.. ويرضخ متولي الكاتب.. ويدفع لهـا ثمـن الكتـاب من لحم الحي.. ولا أعلم من الذي قال إن وراء كـل رجـل عظيـم امرأة؟! امرأة واحدة وراءه لا تكفي.. وليكن وراء الرجـل العظيـم خمس أو ست.. هوه وصحته!!

إن هذا التحالف الأنثوي العبقري بين الزوجات لإرضاء الحاج متولي.. لم يغيظني أنا وحــدي وإنمـا أغـاظ الكـل.. رجـالا ونسـاء!! ولكن الذي أغاظني بصورة شخصية وملأنـي حقـدا علـى الحـاج

متولي منحة التفرغ اللذيذة التي وفرتها له زوجاته وأضاعها هو في تجارة القماش وفي التليفونات مع المعجبات.. ولو كتب له رواية أو ديوان شعر أو تفرغ لكتابة موسوعة عظيمة عن الحشرات حتى.. لأنجزها بمنتهى الروعة ولأصبح بعدها من الخالدين.. إن زوجة داروين عاشت معه سنوات طويلة تشجعه وتشد من أزره وكانت أولى المؤمنات بنظريته عن النشوء والارتقاء وأن الإنسان أصله قرد.. ولكن القرد في عين زوجته المحبة كان غزالا يستحق الإعجاب والتأييد وأنجبت له عشرة أولاد أحرز ثلاثة منهم لقب لورد.. وزوجة لويس باستير الكيميائي العظيم تعرضت للسخرية في حياتها بسبب فرط وفائها لزوجها الذي لم يكن الناس يفهمونه أو يقدرونه.. ولكنها هي.. فهمت.. وقدرت.. ونروح بعيد ليه؟! زوجة أديبنا العالمي نجيب محفوظ تلك المرأة الأسطورة التي عاشت في الظل مع رجل أيامه كلها متشابهة استطاعت أن تطلق سراحه ليتأمل الناس على المقاهي.. أو يتمشى على النيل أو يجتمع مع الحرافيش ولا يتخلف يوما عن طقوسه الروتينية المضجرة لأي زوجة.. ولذا فهي تستحق (نوبل) أيضا.. بل إن لها نصف الجايزة إن لم يزد.. ولكن زوجات الحاج متولي فعلن أكثر من هؤلاء كلهن.. وأضاع متولي الفرصة الكبيرة.. ولم يكتشف نظرية ولا معادلة كيميائية ولم يكتب الثلاثية.. إن المرأة العظيمة تكتشف الرجل العظيم وتقدمه للعالم قبل أن يعرف عنه العالم

شيئا.. نفس نظرية (الأمومة) فالأم هي التي تحمل في بطنها شيئا ما.. تحبه قبل أن يظهر إلى الوجود.. وسوزان طه حسين هي التي أدركت من البداية أن هذا الرجل الكفيف سيكون عظيما فتمسكت به وساندته وهو العربي المسلم.. كان هذا طبعا قبل أحداث ١١ سبتمبر الماضي.. وعلى النقيض كانت زوجة تولستوي الكاتب الروسي العظيم.. نكدية.. زنانة.. لا ترضى أبدا وقد أحالت حياته جحيما.. وفي ليلة وفاته الدرامية.. أيقظ تولستوي ابنته وطلب منها أن ترافقه في الرحيل الأخير.. فهو لا يريد أن يموت في البيت الذي تشاركه فيه هذه (العقربة) زوجته.. أنه يريد أن يموت على راحته بعيدا عنها.. كان يخشى أن تلومه في لحظة الموت وتنكد عليه.. ميتته.. كما نكدت عليه (عيشته). وخرج تولستوي يتعكز على ابنته ليلحق بموعده مع الموت، وركب القطار وعلم الناس أن تولستوي العظيم بالقطار فتجمهروا واضطر أن ينزل في بيت ناظر المحطة ليلفظ أنفاسه الأخيرة.. وأتت زوجته مهرولة بعد أن علمت بالخبر.. تصرخ وتولول.. أشوفه.. أشووووفه.. ولكنهم منعوها من الدخول عليه حيث كان يردد قبل وفاته مش عاوز أشوفها وديني وأيماني لو دخلت عيها ما أنا ميت في ليلتكوا السودة دي.. إن زواج المرأة من فنان أو مبدع يتطلب صفات خاصة نادرا ما تتوافر في أي زوجة إلا في زوجات الحاج متولي اللاتي لا يعترضن على أي شيء . ويحكي أن

الكاتب الساخر العظيم مارك توين كان في زيارة لجيرانه.. وقد ارتدى بدلة بدون كرافاته.. فعاتبته زوجته حينما عاد إلى المنزل وهي في قمة الثورة: دايما كله كاسفني.. يقولوا عليك إيه؟! مراتك مش مهتمة بيك!! رايح للناس (عرة) من غير كرافاته؟! وحتى يرضيها ويفض المشكلة أرسل الكرافاته مع الخادم ومعها ورقة كتب فيها.. جيراني الأعزاء.. منذ فترة قصيرة كنت عندكم من غير كرافاته وأنا أرسلها إليكم راجيا أن تتأملوها نصف ساعة.. إن مشكلة كهذه لا يمكن تحدث مع الحاج متولي.. ولو حدثت.. فسيصرخ فيهن جميعا في حسم قاطع: أنا كده واللي مش عاجبها تشرب من البحر إنشاء الله أخرج بالفانلة و(.. .. ..) وسترضخ زوجاته وتستسلمن قائلات في صوت واحد.. اللي تشوفه يا حاج.. لم يستطع أن يفعلها مارك توين يا خيبته ويا بخت الحاج متولي.. ولذا أناشد وزارة الثقافة أن توفر لكل كاتب أو أديب مبدع.. منحة تفرغ وأربع زوجات مثل نساء الحاج متولي يساعدنه على الإبداع.. ملحوظة : أنا كاتب برضه!!

ليدز.. أند جنتلمن

(بدأت حياتي الإعلامية قارئا للنشرة الإنجليزية في إحدى القنوات المحلية..) والجملة السابقة كما ترون موزونة وبها إيقاع شعري لا يخفى على حضراتكم ربما ينبىء (بميلاد موهبة شعرية تساهم في إثراء الحياة الأدبية..) وهكذا كما ترون الجملة الثانية كمان طلعت موزونة.. ولكن لا أستطيع أن أعدكم بأن أكمل مقالي كله على هذا الوزن.. وأنهي كل الجمل على وزن (إيه).. فهذا قد يهبط بمستوى الكلام إلى ألفاظ متدنية أضطر إلى أن أستخدمها للضرورة الشعرية.. وبعد حوالي عام من قراءتي للنشرة الإنجليزية في تلك القناة المحلية، كانت النشرة عبارة عن أخبار المحافظ والحى ومجلس المدينة والبلدية.. وكل هذا كنت أقوله طبعا بالإنجليزية.. سألت نفسي أولا.. من الذي يتفرج عليا ؟! ولما وجدت نفسي لا تعرف الإجابة، سألت أولي الأمر في المحطة.. فقالوا لي.. إن هذا يخدم الأجانب المقيمين في الإقليم.. ولما كنت طوال هذا العام بالإقليم ولم ألمح أي أجنبي معدي في أي شارع فاعتقدت أنهم موجودون بالفعل ولكن محتجزين كرهائن لكي

يتفرجوا على النشرة.. ومع ذلك لم أيأس.. وظللت كل يوم أجلس على الديسك في موعد النشرة.. وأعوج بقى وأقول.. جود إيفيننج لاديز أند جنتلمن متخيلا طائرات الشارتر تهبط في الإقليم حيث يتجمع الخواجات (لاديز أند جنتلمن) في ساحة كبرى وأمامهم شاشة ضخمة وهم يتفرجون على المذيع بتاعهم اللي هوه أنا وهو يزف (التوب نيوز). إن رئيس مجلس الحي افتتح جمعية تعاونية زراعية في كفر البقر فيهللون جميعا.. واو.. بيوتيفول.. جريت Great .

ولم يعد يشغلني مذيعي النشرة المصريين الأفاضل الذين تخصصوا في النشرة الإنجليزية أمثال على جوهر أو إبراهيم الكرداني.. أو ميرفت محسن.. فأنا لي جمهوري الخاص الذي ينتظرني بفارغ الصبر.. ولا ينافسني فيه سوى جاي لينو وأوبرا ويمفري.. ولاري كنج بتاع الـ (سي. إن. إن) .

ولكن مر عام آخر.. وأنا على هذه الحال.. أسافر من القاهرة إلى القناة المحلية وأظل أعد في النشرة وأذاكرها.. ثم أطلع على الهواء أطرشها.. ولا مخلوق يشعرني أنه تفرج عليا. أو أنني حتى أظهر على الشاشة.. وقد تصور بعضهم أني شاري حتة أرض في الإقليم وأستصلحها في الخباثة، وهذا هو سبب سفري الدائم إلى الإقليم، ولم يتصور أحد أنني أعمل مذيعا بالتليفزيون. وقد شكوت ذلك لرئيس المحطة وكان رجلا متفائلا ومشجعا لي.. فربت على كتفي وقال.. اصبر الإعلام عاوز الصبر ثم غير

الموضوع وسألني إزي الوالدة؟! أخبارها إيه؟! قلت له هيه الوحيدة اللي بتتفرج عليا.. قال لي كفاية يا أخـي إنـت ح تنـهب دي هيـه الخير والبركة، قلت له في يأس.. بس الحاجة والدتي مش قـد كـده في الإنجليزي يا ريس!! فربت على كتفي مـرة ثانيـة وقـال.. أصـبر عليها.. الأمـهات عـاوزين الصـبر مـا هـي يامـا صـبرت عليـك.. وقررت أن أعمل برنامجا بالعربي بأه.. جنب النشرة أهـو ده جنـب دي يمكن يعملوا حاجة.. وكلمت أحلى قطعـة سـكر في السـينما المصرية.. وداد حمدي.. قلت لها يـا سـت وداد أنـا مذيـع (شمـورد).. ونفسي أكبر على إيديكي.. ونفسـي تطلعـي معايـا في برنـامج؟.. قالت لي أشوفك في الأول بتعمل برامج إيه عشان اتفرج عليـك.. قلت لها في حذر مشوب بالخجل إبأى شوفيني في النشـرة وذهبـت في اليوم التالي لكي ألقى النشرة.. كنت متوتـرا.. فـلأول مـرة أنـا واثق أن هناك من سيتفرج.. باسـتثناء أمـي طبعـا.. فـهذه النشـرة ستشاهدها وداد حمدي.. كم كنت أود أن يكون هذا هو أهم الأنباء الـتي سـألقيها.. ولكنـني برضـه عملـت اللـي عليـا.. وابتسـمت ابتسامة خاصة متعمدة فعلتها خصيصـا لـوداد حمـدي وأنـا أنـهي النشرة.. وعـدت إلى القـاهرة جريـا.. وكلمتـها اتفرجـتي يـا وده؟! قالت.. قمر يا واد.. وإيه الإنجليزي اللي طالع من بقك ده.. إوعـى تكون ناوي تكلمني بالإنجليزي.. قلت لها الله يحرق الإنجليزي علـى اللي عمله.. يعني موافقة تطلعي معايا في برنامج؟.. قالت موافقـة.. و.. حصل اللي حصل ورحلت وداد حمدي.. وعدت لألقي النشـرة

باللغة الإنجليزية لنفسي فقط حتى أمي كانت تنام أثناء النشرة.. وهي معذورة.. فصعب أن تجبر ست كبيرة في سنها على أن تتسمر أمام واحد عمال يقول (لاديز أند جنتلمن) حتى لو كان فلذة كبدها إلى أن استدعاني رئيس القناة ذات يوم لأمر عاجل.. ودخلت مكتبه وكان يجلس أمامه رجل أجنبي شعره أصفر وعينه زرقا.. تهلل حينما رآني.. وأمسكني رئيس القناة بسعادة من يدي وقال لي.. وبتقول لي محدش حاسس بيك اتفضل.. آدي مستر ماندلسون أهوه من أشد المعجبين بيك.. لسه باسأله بتشوف القناة بتاعتنا.. قال لي.. أنا عاجبني مذيع النشرة أبو شنب ده.. مبتسم علطول.. يبدو أنه شاهدني في نشرة وداد حمدي يوم أن ابتسمت لها.. قلت لمعجبي الوحيد.. هاللو مستر ماندلسون.. ويلكوم إن يوركانتري.. وقبل أن أسأله كعادة النجوم حينما يلتقون بمعجبيهم ذلك السؤال الكاذب المليء بالزيف والخداع والافتعال.. قبل أن أسأله.. بجد عجبتك؟! وإيه ملحوظاتك عشان أعمل بيها؟!.. إذا بالرجل يمد لي يده بالكارت بتاعه وباليد الأخرى يربت على كتفي بكل اعتزاز.. وإذا بلحظة النجومية الأولى في حياتي تتوهج وتضيء مع لمسة عالمية فلذة حيث إن المعجب أجنبي كمان ولم يعكر صفو اللحظة إلا حينما قرأت الكارت.. وعلمت أن مستر ماندلسون خبير إنجليزي متخصص في فرز البقر والجاموس..

لا صيني ولا تغديني

تتفاخر الحماة وأنت تطلب إيد بنتها.. إن العروسة جاهزة من كله.. وأنها جايبالها (الصيني) ومحوشاهولها من كام سنة.. والصيني هي كلمة شعبية تعني أطقم الأطباق، والأكواب، والسكريات، والبراد.. وما شابه من أدوات السفرة وهو أمر واقع يجعل هذه الأدوات تحمل الجنسية الصينية دائما.. حتى (الصينية) التي تضع عليها أكواب الشاي تعبر في اسمها عن جنسيتها أكثر مما تعبر عن وظيفتها، والصين تتعامل معنا الآن بمنطق المطربة عليا.. ما تقولش إيه اديتنا مصر.. لأ قول حندي إيه لمصر؟!! والصين بلد عريق زينا.. عندهم سور الصين العظيم.. وعندنا الأهرامات.. عندهم المعابد الصينية وعندنا الأقصر وأسوان.. عندهم (لوشيون) الكاتب الصيني الفذ.. وعندنا (نجيب محفوظ) كاتبنا المعجزة.. حاجة واحدة عندهم وماعندناش زيها.. الشغل!! ورغم أن عيونهم ضيقة كما تعلمون.. وعيوننا واسعة ومبحلقة فهم الذين رأوا أن مصر في رمضان تحتفل بالشهر الكريم بطقوسها الجميلة والتي تتطلب أشياء بعينها.. فوانيس مثلا.. وفي لمحة البصر كانت السفن آتية من

الصين الشقيقة محملة بفوانيس بتغني وبتنور ليلعب بها أطفالنا.. ثم سجاجيد الصلاة.. والسبح.. ولعب الأطفال بمختلف أنواعها حتى طنط زكية زكريا وقد قررت إعجابا بالفكر الصيني المدهش أن أفتح خطا معهم محولا بيتي كله إلى بيت صيني.. العفش والحمامات وحتى اللوحات على الجدران ستكون كلها صينية.. لا سيما وأن مطعما صينيا فتح بجوار بيتي وزوجتي تحب الأكل الصيني.. فسترحب بذلك.. واللغة الصينية لا تختلف عن الهيروغليفية.. فهي لغة مصورة.. لكل كلمة صورة تعبر عنها.. فكلمة دردشة يعبر عنها بالصينية بصورة ثلاث نساء.. وكلمة خير يعبر عنها بامرأة وطفل.. وكلمة عبادة.. هي صورة لرجل راكع.. أما كلمة مستهلك فهي بالتأكيد صورة لمواطن مصري يقف على شاطئ النيل.. ولم يولد الصينيون وفي أفواههم ملاعق من ذهب.. لقد ذاقوا الويل..وفي الثلاثينيات من هذا القرن كان يموت كل عام مليون نسمة من الفقر والجوع وسنة ١٩٣٥ التقط من شوارع شنغهاي ٢٩ ألف جثة صينية ماتوا من الجوع ويبدو أنه من يومها شاع المثل (أن الصيني لو اتكسر ما يتصلحش) .

ولكن الأيام أثبتت عكس هذا المثل.. واستطاع ماوتسي يونج وشوان لاي أن يصلحوا كل ما انكسر واتدشدش ويقيموا هذا الكيان الضخم العملاق.. والعامل الصيني يشتغل من ١٢ إلى ١٦ ساعة في اليوم، وبرغم ذلك استطاع أن يمارس جميع وظائفه

الحيويـة الأخـرى.. ولم تسـجل مصلحـة الأحـوال الشـخصية أي شكوى من زوجـة صينيـة لأن زوجـها مشـغول عنـها ولا حاجـة.. فاليوم في الصين بشهر عندنا وليس هذا لاختلاف المناخ وليس له أي علاقة بخط الاستواء والخطوط الطوليـة والعرضيـة.. وإنمـا لأن اليوم الصيني مشحون بالعمل المتواصل.. فلا وقت هناك لمؤتمرات وندوات وبيانات وقعدات.. مليار من البشر يطلعون من صبلحيـة ربنا كجحافل النمل في عمل لا ينقطع لو أرادوا أن يشيدوا ألف سور عظيم آخر لفعلوها.. بل إن سور الصين العظيم إيـاه لم يعـد عجيبة من العجائب بالمقارنة بمـا يحـدث الآن بينمـا سنظل نحـن ننظر إلى الأهرامات بكل فخر وكل عظمة.. ونلقى القصائد.. قال شواين لاي لعبد الناصر وهو يعرض عليه تصدير القطن المصري للصين لو أمرت شعبي أن يزيد أسورة القميص نصـف سـنتيمتر فقط.. لاستهلكت محصول القطن كله.. كـان يـدرك أهميـة القـوة البشرية المهولة التي عنده.. وحينما طلب منه عبد النـاصر أن يمـده بمعلومات متطورة عن التسلح النووي.. قـال لـه شـواين لاي.. إن أول معلومة لكي تصنع قنبلة ذرية هـي ألا تعتمـد علـى أحـد في صناعتها.. ولا تسأل أحدا هذا السـؤال والآن.. هـا أنـا جـالس في بيتي الصيني المريح.. بجوار ساعة حائط صينية تحفة.. وراديـو صيـني مفتخر.. مرتديا الروب الصيني على البيجاما الصينية أتناول وجبة صينية رائعة.. وحينما يرن جرس التليفون.. وهو صيـني بالمناسـبة..

تقول لي زوجتي.. كلم.. فوشي يانج عاوزك.. أرد بترحاب شديد.. ألو.. فوشي يانج إزيك يا راجل.. إنت فين شهر ما أسمعش صوتك.. نعم!! كنت شغال.. آه ما أنا عارف ربنا يقويك لأ.. أنا مبسوط جدا.. والحاجة اللي إنت بعثتها وصلت وزي الفل.. بس باقول إيه يا فوش - جلدة الحنفية اللي قلت ح ابعتهالك ما وصلتش.. آه.. بتنقط.. لأ.. ما أنا بعتّت جبت واحد صيني ربطهالي.. جاية امتى الجلدة.. أول فبراير.. ماشي.. إبعت لي دستة بأه.. طيب يا فوش.. سلم لي ع اللي عندك.. ووضعت السماعة ووضعت يدي في جيبي.. لأجده.. جيبي يعني.. أنضف من الصيني بعد غسيله!!!

يبأه أنت أكيد.. المصري

القلم الذي أكتب به صنع في اليابـان.. والـورق الـذي أكتـب عليه صنع في الصين.. كل من حولي وأمامي وفوقي.. صنع في بلاد تانية.. وعبر البحار والمحطات ليحيط بي من كل جـانب.. النجفـة تايواني.. واللمبات من سنغافورة.. ومفاتيح الكهربا طلياني.. حتى سجاجيد الصلاة.. والسبح والفوانيس.. حتى زكية زكريا العروسة التي تتكلم وتتحرك وتحثنا على أن ننفـخ البلالـين.. مصنوعـة في الصـين.. وإذا سمعنـا كلامـها ونفخنـا البلالـــين فسنكتشــف أن البلالين أيضا صناعة كورية أو مــن كوالالمبـور.. لا شـيء بجـواري صناعة محليـة إلا المحروسـة إبنـتي ولذلـك فـهي هفتانـة علطـول.. وعيانة علطول.. وقد نطقت كلمة (الدكتور) قبـل أن تنطـق بابـا وماما.. وكل ما يخص ابنتي من الملابس واللعــب صناعـة أجنبيـة، والبنت جاءت تفهم ذلك على ما يبـدو.. فـهي قبـل أن تدشـدش اللعبة تنظر إلى التيكيت لتتأكد أنها صناعـة أجنبيـة وبمـا أن كـل هذه الأشياء لا تتعامل إلا مع الــدولار فأنـا أعجـب لقـوة الجنيـه

المصري الذي لا يزال ثابتا شامخا يقاوم في نبل.. ولا يزال يعتبر عملة متداولة برضه ولم يتحول بعد إلى عملة تذكارية يجمعها أولادنا في ألبومات مثل الطوابع.. نعم.. يجب أن نحي الجنيه ونرفع له القبعة (الإنجليزي).. بل يجب أن نبخره من أعين الحساد ببخور (هندي) أو (باكستاني) ونضعه في احترام في محفظة جلد (تركي) فهو لا يزال حتى الآن.. عملة تستطيع أن تعطيها للسايس فيأخذها عن طيب خاطر.. صحيح أنه لم يعد يشكرك كما كان يحدث من كام سنة.. لكنه على الأقل لا يرفضها.. وبائع الجرائد.. إذا أعطيته الجنيه.. يتقبله الرجل.. ويعطيك الجريدة دون أن تحدث أي مشاكل وبالجنيه تستطيع أن تشتري عدة أرغفة من الخبز.. صحيح عيش حاف إنما.. أهو بتاكل عيش وغيرك برضه بياكل عيش.. وبالجنيه أيضا يمكنك أن تشتري قرصين طعمية بالسمسم.. مع الأخذ في الاعتبار أن السمسم مستورد برضه ولكن الطعمية هي في الأول والآخر.. غموس.. صحيح أنك ستأكلها حاف.. لكن لا تنس أنك أكلت عيش بالأمس.. وهكذا فإن البضاعة المستوردة التي تملأ حياتنا جعلتنا خبراء بحق في الأسواق العالمية.. فهذا يقول لي.. خد التركي سيبك من التايواني.. وآخر يقول لي.. لأ.. الماليزي بأه فابريكة.. وهكذا وصلنا بحق للعالمية.. فالزبون المصري ذواقة.. ولا ينضحك عليه وبلاد الدنيا كلها تتنافس على إرضائه.. ثم إنه زبون لارج حياته كلها مواسم وأعياد.. وكلها مرتبطة بأشياء يمكن

أن يصنعها له الغرب والشرق وهو يختار.. كالباشا.. وبعدين هوه ما بيهموش.. المهم البضاعة النضيفة.. ولذا فهو الذي يحدد قيمة الأشياء وينسبها إلى بلادها الصوف الإنجليزي.. والبخور الهندي.. والعطر الفرنسي.. والبدلة الطلياني.. أما إذا دورت على حاجة مصري.. فستتساءل مثل لطيفة في كلمات جمال بخيت الرائعة.. تعرف تتكلم بلدي.. وتشم، وتعيش الحلم.. يبقه أنت أكيد المصري.. فعلا.. فهو يتكلم ويشم ويحلم إنما يعمل ترابيزة حلوة؟! بدلة عليها القيمة؟! إبر بوابير حتى.. لا.. كله يستورده من بره، وفي الأفراح الراقية يستوردون الزهور من بلجيكا.. حية.. لتموت في الفرح قصدي لتموت في مصر، والشيكولاتة تأكد أولا أنها سويسرية.. أما إذا جبت حاجة حرشة.. فيه برطمانات مخلل حكاية جاية من هولندا.. وهكذا صار شعبنا - اللئيم - يتمتع بجهد البلاد التانية الشقيانة ويتعب نفسه ليه ما دام شغلهم كلهم عنده لحسابه يعملوله اللي هو - عاوزه حتى شخاليل العيال.. واللفف والبافيتات - وكنا قديما مشهورين بالقطن طويل التيلة الذي كان مانشيتا رئيسيا في كتب التربية القومية والجغرافيا زمان ولكن هو احنا ناقصين غلبة؟! القطن يتلم ويروح على بلاد بره.. ويرجع لنا قمصان وبنطلونات وفانلات وشرابات وشراية العبد ولا تربيته.. وحتى في الفن.. صرنا أميل إلى استيراد المطربين والفنانين واحنا ليه ح نعمل أم كلثوم تاني.. وعبد الحليم.. وعبد الوهاب.. يا عم

هات المطرب جاهز بأغانيه ودعايته.. وهو ونصيبه لفق مع النـــاس ماشي.. ما لفقش شوف غيره.. ما أمتع الحياة في مصـــر.. تـرى هـل هذا هو السبب الذي جعــل مصطفـى كـامل يقـول (لـو لم أكـن مصريا لوددت أن أكون مصريا).. وحتى الجنسية المصرية لم تعجب البعض.. فاستورد جنسية أخرى أشيك شوية .

فهذا يخرج لي باســبوره متباهيـا ويقـول لي مـش تبـاركلي.. أنـا بقيت هولندي وهذا يقدم لي ابنته بتفاخر.. بنـتي سـنية - صينيـة.. أمها ولدتها في الصين.. وقد قـال أحـد المرشـحين في الانتخابـات لأبناء دائرته.. لقد ولدت مصريا.. وسـأموت إن شـاء الله مصريـا.. فهمس أحــد الواقفـين لزميلـه.. سـيبك منـه ده راجـل معنـدوش طموح .

الكاتب.. والمسحراتي

لا أعلم لماذا اندهشت زوجتي هذا الاندهاش حينما كنت أتناول كوبا من الشاي مستغرقا في كتابة مسرحية جديدة.. هل خربت الدنيا لأنني أضفت إلى الشاي قليلا من البيبسي وماذا في ذلك!! البيبسي ليس من المحرمات وإضافته للشاي لن تضر في شيء.. ثم لماذا شهقت هذه الشهقة حينما أضفت لهما قليلا من مبشور الجبنة الرومي!!

ولماذا صرخت في الخادمة أن تطلع بره الأوضة كأني كنت قالع هدومي واللا حاجة.. وقالت لي بنفاد صبر اسمع أنا مش ح اسمح لك تضحك الناس علينا.. ايه اللي أنت بتهببه ده ؟!

قلت لها يا عزيزتي خدي المسألة ببساطة.. ألا تلاحظي أنني أكتب مسرحية جديدة وأطرف القطع الأدبية والفنية تصدر دائما عن أصحابها وهم في حالة نفسية غير عادية.. اسمعي هذه الرسالة التي كتبها الكاتب الإنجليزي (جلبرت شسترتون) إلى صديق له.. يقول.. عندما استيقظت في الصباح غسلت حذائي بالماء الدافئ

والصابون وطليت وجهي بالورنيش وذهبت لتناول الطعام فسكبت القهوة على السردين ثم لحستها بالمربى ووضعت قبعتي على النار. وقد قال أفراد أسرتي حينما رأوني أغادر البيت من مدخنة المطبخ.. إن شيئا ما يشغل ذهني.. قالت زوجتي بحسم أسمع أنا مليش دعوة بجلبرت ولا غيره.. والتقطت من أمامي بعنف زجاجة كاتشاب كنت أهم بأن ألحوس بها طبق الأرز باللبن وقالت في غيظ.. أنا ح ألاقيها منك واللا من بنتك !!

قلت لنفسي.. غدا ستعرفين قيمة زوجك وستنسبين لنفسك كل نجاحاتي.. قالت بتبرطم بتقول ايه؟! قلت لها.. غدا سأبيع كتاباتي.. بالكلمة.. وإذا كنت الآن لا تقدرين سيأتي من يقدر ويدفع.. صحيح أنهم يدفعون الآن (كل ما تفرج) اللي فيه النصيب ولكنها مرحلة مر بها كل الكتاب.. وقد كتب أحد الأمريكيين إلى الشاعر الإنجليزي كبلنج يقول له.. علمت أنك تبيع الشعر والأدب بسعر دولار لكل كلمة.. وها آنذا أبعث إليك بدولار وأرجو أن ترسل لي (عينة) من بضاعتك.. فاحتفظ كبلنج بالدولار وبعث للأمريكي برسالة لا تحوي غير كلمة واحدة.. كانت الكلمة (شكرا) وبعد أسبوعين كتب الأمريكي إلى الشاعر يقول له.. لقد بعت نكتة (شكرا) إلى إحدى المجلات بدولارين وها آنذا أرسل إليك ٤٥ سنتا قيمة نصيبك من نصف الربح بعد خصم نفقات البريد.. وهناك كثير من الناشرين

والمنتجين ورؤساء تحرير الصحف شغوفون بالتعاقد مع مشاهير الكتاب ذوي الأسماء الرنانة مهما كانت قيمة ما يكتبون.. وكان مستر جولدوين المخرج والمنتج الأمريكي كذلك.. فدعا الكاتب البلجيكي الشهير (موريس ماترلنك) إلى هوليوود وكلفه بأن يكتب أروع قصة سينمائية يجود بها قلمه لقاء أي مبلغ يطلبه وأنجز ما ترلنك القصة وبعث بها إلى جولدين الذي كان قد أقام الدنيا وأقعدها وقال في كل وسائل الدعاية أن فيلمه القادم للكاتب الكبير ماترلنك.. وأمر بعد أن تسلم القصة بأن يرسل للكاتب العظيم شيكا ضخما يتناسب مع اسمه وشهرته الذائعة.. ثم حمل القصة وأسرع بها إلى حجرته الخاصة وأغلق على نفسه الأبواب. وأمر بألا يدخل عليه أحد نهائيا ليتفرغ لقراءة القصة.. وبعد ساعة خرج مستر جولدوين غاضبا وهو يشد شعر رأسه ويلطم على خديه ويصيح منفعلا يا إلهي.. لقد جعل الكاتب الكبير بطلة القصة نحلة!! فكيف أخرجها!! وكانت (قرصة) تعلم منها كثيرا ..

هذه القصة الطريفة كنت أحكيها لزوجتي ونحن نازلين من البيت على السلم ومعنا ابنتنا الصغيرة التي أخذت تصفق في سعادة وأنا أحكيها بينما ظلت زوجتي ترتسم على وجهها ملامح الدهشة هل تعرفون ما الذي كان يدهشها؟ ليست براءة القصة ولا خاتمتها المفاجئة.. وإنما فقط.. لأنني وأنا أحكيها كنت أتزحلق

على الدرابزين.. وهي فكرة طقت في دماغي أن أفعلها لجذب انتباه السامعين.. وماذا حدث يعني إذا كان بعض الجيران شاهدوا ذلك.. هل أجرمت؟!

المشكلة أن القيمة الحقيقية لما نكتبه تتدخل فيها عناصر أخرى بعيدة كل البعد عن قيمة الإبداع الحقيقية مثل الشهرة والاسم الذائع والطرح الإعلامي لهذا الكاتب.. وقد حدث يوما أن دخل روزفلت غرفة سكرتيرته برفقة أحد أصدقائه فوجد عددا كبيرا بانتظاره.. فداعب أحد الوافدين بنكتة قديمة معروفة ضج لها الجميع بضحك متواصل ثم نفذ من غرفة سكرتيرته إلى غرفته وهناك قال له صديقه: عفوا ولكن هذه النكتة التي قلتها قديمة وأعتقد أنهم سمعوها من قبل . فضحك روزفلت وقال أعلم ذلك ولكنهم جميعا جاءوا في طلب أو خدمة يريدون أن أقضيها لهم.. فسيستقبلون مني أي شيء.. هذا أفضل وقت لإلقاء النكات القديمة ثم إن هذه الأشياء الغريبة التي نفعلها.. ونحن نكتب تتحول بعد ذلك إلى نوادر بعد أن نموت يضحك لها هؤلاء الذين لا يزالون على قيد الحياة.. وهذا الفارق في التوقيت بين ما نكتبه ثم يقدره الناس بعد ذلك سيظل موجودا للأبد.. حتى إن برنارد شو قال إذا رأيت إنجليزيا يضحك فهذا دليل على أنه فهم في تلك اللحظة مسرحية من تأليفي شاهدها منذ عام. وهذا ما حدث

لي ليلة عيد الأضحى حينما طرق الباب ووجدته أمامي يبتسم تلك الابتسامة التي يطلب بعدها الناس فلوسا .

وقال كل سنة وأنت طيب.. ولما رددت ابتسامته بأحسن منها فيما يعني.. خير فيه حاجة !!

قال لي بس العيدية أنا المسحراتي.. ولما كنت أعلم أن المسحراتي يأتي غالبا ليلة عيد الفطر فقد شرد ذهني في علة احتمالات.. إما أن يكون رمضان امتد لعلة أشهر وأنا لم أعلم أو أن الرجل قام مشكورا بجدولة العيدية تماشيا مع الظروف الاقتصادية.. فأخذ دفعة في عيد الفطر على أن أسدد الباقي في عيد الأضحى.. أو أنه استمر في عمله كمصحياتي بعد نهاية الشهر الكريم طالما أنني لم أبلغه بالاستغناء عن خدماته.. ونقدته فورا ما يريد.. وقلت له بحسم.. خلاص .. ما تسحرنيش تاني خالص.. فأخذ المبلغ بضيق.. وقال لي..والله أنا ما حسبت الستة البيض !!

بيقولك مرة واحد ..

إنه لا يكمل أي شيء.. لا يركز لحظة.. يدخل المنزل.. وكأنه عاصفة هبت فجأة.. يصرخ فيا.. إيه ده أنت قافل الشبابيك.. يا عم افتح.. هوي الشقة (هذا يحدث في عز البرد القارس) .. وأجري وراءه محاولا بكل قوتي أن أغلق ما يفتحه من بلكونات وشبابيك لكنه يستشهد بنفسه دائما.. شايف.. أهوه قميص ع اللحم.. ده أنا باشر عرق.. وبعد كل هذا ينهض فجأة ويقول.. ياللا.. يا عم.. قعدة البيت دي تجيب اكتئاب.. اسأله بنفاد صبر.. وطالما أنك ناوي تخرج ايه لازمة الشقة اللي فتحتها ع البحري؟!.. في السيارة يقول.. تعرف ناكل إيه يا أبو حجاج.. فتة بالكوارع والصلصة نازلة عليها.. وهبر اللحمة.. يا عيني.. ثم أجده يلف ويقف بنا فجأة عند محل كشري.. ويقول أصلي نفسي راحتله.. نضرب اتنين كشري ونطلع نشرب شيشة وشاي في أي حتة.. ثم فجأة.. يقول للبائع اسمع.. سك ع الكشري.. ويلتفت لي.. أصلي جات لي فكرة فظيعة.. إحنا نطلع ناكل جمبري من عند الراجل اللي في السيدة عيشة.. عظمة.. بالطحينة كله.. وقرن فلفل أخضر جنبه يا سيدي..

ونجري مسرعين وأنا لعابي يسيل على الفتة والكشري والجمبري لينتهي بنا الحال ونحن نأكل فول وطعمية عند الجحش.

وأثناء الطعام يسألني.. ايه آخر أخبار النكت.. اسمع دي يا جو.. واحد دخل مطعم طلب واحد كرنب جاله الكرنب.. ولا.. استنى.. استنى.. هو ما طلبش كرنب.. هو كان طالب سبانخ وبعدين.. ثم ظل يعصر مخه.. ويهتف في حسرة.. لأ.. راحت النكتة من بالي خالص مع إني كنت فاكرها.. خلاص.. خلاص.. اسمع دي بأه.. واحد كان بيتخانق مع مراته والباب خبط.. واخد بالك.. أقول في نفاذ صبر.. واخد بالي وبعدين.. يقول.. لا أنت شكلك كله سرحت مني: أصرخ في غيظ يا عم مركز معاك.. ركز إنت.. الباب خبط وبعدين.. فسرح قليلا.. وقال.. هو أنا قلت الباب خبط.. لأ.. الباب ما خبطش.. التليفون رن في الأول.. لأ استنى.. هما تقريبا جالهم جواب.. أصل هما في الأول خالص.. استنى بس ياه.. كنت فاكرها.. والله لسه حالا مش عارف إيه اللي بيحصل لي أيوه.. أيواه.. الباب خبط.. صح الباب خبط.. ثم يسرح قليلا.. ويقول فجأة ونروح بعيد ليه استنى ح أطلبلك اللي قالها لي.. ألوه.. أيوه يا ميرو.. النكتة اللي أنت قولتها لي أمبارح.. آه كانوا بيتخانقوا مع بعض.. ايه.. دي نكتة تانية.. أنا دخلت نكتتين في بعض طيب قول.. وظل صديقي يستمع إلى نكات ميرو.. وينفجر في ضحك متواصل.. وأنا في انتظاره وهو يشير لي بأصبعيه أن

أصبر قليلا ويومي لي برأسه ضاحكا كأنني أسمع ما يدور وبعد ربع ساعة.. قال له مرسيه يا ميرو.. ثم نظر إلى الجرسون وقال له.. الحساب بسرعة.. أنقده الحساب.. وفي السيارة قلت له ما قولتليش النكتة يعني قال.. آه.. أصله قال لي واحدة أنقح منها كمان.. قلت له طيب.. قول.. قال.. واحد مسطول كان جاي يعدي شريط القطر وبعدين.. ثم سكت قليلا وهو يفكر وقال.. لأ.. معلش.. سواق القطر هوه اللي كان مسطول.. وسايق القطر فالملاحظ بتاع القطر.. لأ.. استنى.. الملاحظ تقريبا كان مسطول.. يابن اللذينة يا ميرو!! مش عارف بيقولها إزاي أطلبهولك؟ قلت له في غيظ شوف يا إما تفتكر النكت يا إما تسكت خالص.. ما تعلقنيش ثم قلت له بغضب.. نزلني هنا.. هنا أقسم بأغلظ الأيمان ألا يتركني.. وذهبنا إلى مقهى في الحسين.. وطلب شيشة وطاولة..وجاءت الطاولة.. فأمسك بالزهر والقواشيط.. وقال لي تلعب محبوسة ولا عادة ولا جولبهار.. قلت له أنا لا أعرف دي ولادي ولادي.. قال بسعادة يا عم دي سهلة تتعلمها في ثانية.. شوف يا سيدي.. المحبوسة هي اللي ترص القواشيط و.. و.. ثم توقف قليلا.. وقال لا استناني دي الجولبهار بقولك أيه إحنا نلعب عادة أحسن.. قلت له وكيف نلعب العادة.. فقال بسيطة.. وطلب الرقم.. أيوه يا ميرو.. هيه الطاولة العادة بتتلعب ازاي؟ نعم إنت فين؟!.. إيه اللي وداك الجحش.. أنا أديتلك الميعاد هناك.. آه.. ما احنا سيبنا

الجحش سوري إحنا قاعدين دلوقت في الفيشاوي ثم نظر لي وقال.. ياه ده أنا نسيته خالص.. قلت له مشفقا عليه طيب اسمع أنا ح أقولك نكتة جديدة.. على الأقل تقولها لميرو.. ما يبقاش هوه مصدرك الوحيد للنكت. قال بسعادة.. قول يا جميل إنت ساكت من الصبح قلت له.. كان العلماء يظنون أن من يسقط من ارتفاع شاهق يموت من الخوف قبل أن يصل إلى الأرض.. وحدث أن سقط أحدهم من قمة ناطحة سحاب.. وعندما بلغ الدور الخامس شاهده أحدهم فصرخ.. ولكن سمعه يقول أثناء سقوطه ما تتخضوش الحمد لله أنا لسه عايش.. أنا ما متش.. وانفجرنا في الضحك.. وجاء ميرو.. قلت له أبوس إيدك تكمل لي النكت بتاعتك أحسن صاحبك يبتدي النكتة من هنا ويجيله شلل مؤقت.. وينسى بقيتها..ولكن صديقي قاطعني قائلا.. لأ.. أقول له أنا النكتة بتاعة ناطحات السحاب.. شوف يا ميرو.. إنت عارف إن العلماء كانوا بيقولوا اللي يقع من ارتفاع شاهق بيموت من الخوف قبل ما يوصل للأرض.. فقال ميرو.. أيوه ، فبلع صديقي ريقه وقال أيوه إيه.. هي دي النكتة.. ما تضحكوا.. وانفجر هو وحده في ضحكة عالية ..

أنا مين

إنها مشكلة بلا شك .. محرجة جدا.. أن تلتقي بأحدهم فتجده يعرفك جيدا ويحمل من ذكرياتك ما لا تذكره أنت شخصيا بينما تظل أنت تحملق فيه في بلاهة ولا تستطيع تذكر حتى اسمه.. وتظل طوال وقفتك معه هذه دماغك رايحة جاية.. تحاول أن تجمع الاسم بلا جدوى.. وهذا ما حدث للكاتبة جين أرثر الأمريكية المعروفة حينما قابلت إحدى صديقاتها القديمات في الطريق.. فتصافحتا ووقفتا تتحدثان.. وكانت جين ناسية تماما اسم صديقتها ولكنها فضلت أن تتظاهر بمعرفتها.. إلى أن تبدو لها فرصة سانحة خلال الحديث تعيد إلى ذاكرتها اسم صديقتها.. وقالت الصديقة أثناء الحديث إن أخي يرهق نفسه في العمل هذه الأيام. وظنت جين أن الفرصة قد واتتها.. فسألتها جين هو لسه شغال الشغلانة المنيلة دي فقالت صديقتها.. للأسف.. فسألتها جين.. وهو شغال فين دلوقت؟ فأجابتها الصديقة ببساطة.. في البيت الأبيض.. ما زال رئيسا للولايات المتحدة!! ولذا فأنا أنصحك حتى لا تقع في مثل هذا المطب الذي وقعت فيه جين آرثر أن تختصر الطريق

وتعترف لمن يقابلك بكل ترحاب وود وعشم. بأنك - للأسف الشديد - لا تذكره وتطلب منه مباشرة أن يعلن عن اسمه وشخصيته.. ولكن بعضهم يبالغ في إخفاء شخصيته محولاً نفسه إلى فزورة صعبة بلا داع.. فجأة أظلمت الدنيا تماما.. كان شخصا ما قد أتى من خلفي ووضع يديه على عيني.. وجاءني صوته السخيف وهو يقول: أنا مين؟ ولما حاولت أن أنزع يده من على عيني ثبتها بشلة ورفض أن يمنحني نعمة البصر حتى أتعرف على حضرته.. إن صوته لا يمكن أن يكفي بالنسبة لي.. فأنا لا أستطيع تمييز الأصوات من بعضها.. وظللت ثلاث سنوات أسمع باسكال مشعلاني على أنها نوال الزغبي.. دع يدك عن عيني يا أخي.. أرجوك.. فإني أسمع بعيني.. وبعد محايلة حدثت المعجزة وشال ايده من على عنيا وأعيد لي بصري.. حملقت في الوجه.. جديد نوفي.. لم أره في حياتي.. وأستطيع أن أقسم على ذلك ولما رأى هذا الاستغراب على وجهي.. وأحس أنه بدأ يتخذ شكلا عنيفا بعض الشيء.. تهلل فرحا وقال.. ثانية واحدة.. أنا ح أفكرك.. الإمارات.. قلت له بضيق ما لها الإمارات.. قال لي ألم تزر الإمارات.. قلت له زرتها يا سيدي.. ومرات عديدة قال.. طيب ح أقربها لك.. الشارقة.. قلت له أرجوك.. أفصح عن نفسك إنت مين.. قال.. معقولة نسيتني.. أنا اللي استقبلتك في المطار وأوصلتك الأتوبيس.. أخذت أجهد ذاكرتي في التركيز في تلك اللحظة

البلهاء التي نصل فيها إلى مطار ونكون في تلك الدهولة والخوف غير المبرر على حقائبنا ومستقبلنا في البلد الذي وصلنا إليه.. نعم.. لقد استقبلني أحدهم.. ولكن الذاكرة مسحته.. وكان أحدهم بانتظاري في الريسبشن ولكنه مسح الآخر.. أكان يجب أن أعمل Saving .. أو تخزين لكل وجه أقابله في حياتي.. المهم أنني علمت بعد ذلك.. أنني لست الشخص الذي استقبله وإنما كان شخصا يشبهني وأنه ليس الشخص الذي استقبلني.. وإنما كان شخصا لا يشبهه.. ولكنه القدر والنصيب الذي وضع يده على عيني في ذلك اليوم الأسود.. ومن يومها وأنا جالس وظهري للحائط.. حتى لا ينقض على أحدهم ويغميني من الخلف كما فعل (أخينا).. لكن أن أفاجأ بيدين ناعمتين مخمليتين توضعان على عيني.. وبضحكة أنثوية جميلة تردد.. أنا مين.. هذا في الحقيقة كان مفاجأة أستطيع أن اسميها سارة.. ولم أتعجل في تخمين الاسم حيث أن وضع يديها على عيني لم يكن شيئا مزعجا بأي حال من الأحوال.. بل إنني اعترف بأنني تعمدت أن (استعبط) وسرحت في احتمالات كثيرة.. مستحليا ذلك اللغز اللطيف.. فيمن تكون صاحبة هاتين اليدين الناعمتين.. وهذه الضحكة المخملية؟!! تمنيت ألا أكون أعرفها.. فما أجمل التعارف الذي يبدأ بهذا الظلام الدامس وضعت يدي على يديها التي تغميان عيني.. لا لأنزعهما.. وإنما لأثبتهما حتى لا تتزحلقان قليلا.. فتسمحان لي برؤية ليست

من حقي.. وقلت.. طيب اتكلمي.. يمكن أعـرف مـن صوتـك ولم ترد.. وكانت تعتمد على ملمــس يديـها في أن أعرفـها.. كـم هـي واثقة من نفسها.. ولكنني لاحظت وأنا أثبت يديها على عيني.. أن بيدها دبلة.. إذن متزوجة.. وماذا لو أتى زوجــها ونحـن علـى هـذا الوضع.. ولكنها لست مرتجفة ولا خائفة.. وأدركت بسرعة المــأزق الذي أنا فيه.. وقلت لها بثقة أحسد عليها.. ما أنا عارف إنتي مين م الصبح.. معقولة.. حد في الدنيا ما يعرفـش ايـد مراتـه؟؟ ورفعـت يديها من على عيني فقالت لي بشك بذمتك إنــت عـارف إن أنـا اللي مغمية عينك.. قلت لها وهل أسمح لأمرأة في الدنيـا غـيرك أن تغمي عيني.. وأخيرا يا أعزائي.. لقد وجدت حلا عبقريا اشــتريت مراية يمين ومرايا شمال زي بتاعت العربيــات أضعـها أمـامي وأنـا أكتب في مكان عام.. وأرى من خلالهما أي حــد يـأتي مـن خلفـي على غرة وقريبا سأركب فانوس إشــارة غمـاز.. في الأوقـات الـتي أعلم أن المدام.. ستطب عليا.. وقانا الله شر ا لحوادث الجسام..

الرجل الذي نط

فكر جيدا قبل أن تحكي عن نفسك.. صحيح أن الكلام ليس عليه فلوس ولكن الكلام الذي (ببلاش) هذا ممكن بعد لحظة واحدة أن يكلفك كثيرا.. فهذا عريس يوم (صباحيته) جالسا مع العروسة في أسعد حال يتناولان في جو ساحر يملأه الحب إفطار العرسان.. وإفطار العرسان ليس إفطارا في الواقع وإنما هو بالتأكيد (غداء العرسان) لأنهما ينامان بالفعل في الصباح بعد ليلة مجهدة في الفرح ويستيقظان عصرا فلنقل أنه الأصوب - زمنيا - أن نقول غدا العرسان كما أنه ليس إفطارا بمعنى أنه جبنة وفول وبيض.. وإنما هو بالتأكيد حمام محشي وفتة بالموزة وما لذ وطاب من المحمرات والمشمرات والطواجن.. كان العريس جالسا وأمامه العروس وطبق الشوربة.. ولما كانت غريزة الجوع أقوى بداخله في تلك اللحظة فقد قرر أن يبدأ بالشوربة.. ولكنه لاحظ - والكلام للعريس - أنه يجب أن يتكلم حتى لا يبدأ أول يوم في حياته الزوجية بهذه الدناوة.. فقال لها اعذريني إذا لم أكن أجيد الكلام مثل شباب هذه الأيام.. إنما أنا رجل فعل.. تريني فعلا في

وقت الشدائد.. هنا ستعرفين من أنا.. لو كنا نعيش في أيام الجاهلية لخطفتك على حصان وطرت بك بعيدا ولكنها مع الأسف ليست أيام الفروسية شفتي فيلم عنترة بن شداد؟! لو كنا أيام الحروب لاستشهدت من أجلك في معركة كبرى .. شفتي فيلم في بيتنا رجل؟!

أهوه.. هذا هو أنا بالضبط.. ولو كنا في سفينة ولا قدر الله غرقت سترين ماذا كنت سأفعل لأنقذك.. شفتي فيلم تيتانيك؟ وظل العريس يكلمها عن شجاعته في وقت المحن والأزمات.. ولكنه لاحظ - والكلام للعريس - أن طبق الشوربة يتحرك نحو العروس بصورة غريبة.. هكذا وحده دون أن تحركه يد.. كما لاحظ أيضا أن النجفة والعياذ بالله ترتج ارتجاجا عنيفا وجد البيت كله يتأرجح.. يا نهار أسود .. إذن .. هو زلزال!!! وهما خمس ثواني.. وكان العريس في الشارع وحده هاربا بجلده من الموت ليكتشف أنه ترك عروسه يوم الصباحية تهتز وحدها في الشقة.. هو الذي حكى لي هذه القصة حينما تدخلت لأصلح بينهما بعدما أصرت العروس أن تنفصل عنه لأنه فشل في أول اختبار في حياتهما وتركها وقال يا فكيك وقد أصلحت بينهما والحمد لله بشرط أن تعطيه العروس فرصة ثانية في الزلزال القادم وقد حدث مثل هذا لأحد أصدقائي.. كان عائدا من الكلية وكان معه ثلاث بنات جميلات زميلاته في الجامعة.. كانوا في المترو.. جالسين يتكلمون في

أمور عامة ولم يكن هناك داع بـأه لأن يتكلـم صديقـي هـذا عـن شجاعته وقدرته على ا لتماسك في وقت الخطر. كـان يحكـي لهـن حينما اشتعل حريق في البيت المجاور وكيف دخل هو بكـل إقـدام وجرأة بين النيران لينقذ طفلة صغيرة وعرض نفسه للمـوت ثـم قال لهن بتفـاخر.. شـفتوا فيلـم رامبـو.. ولم تخـف البنـات للحـق إعجابهن بجرأته وشجاعته وقالت إحداهن.. يعني الواحـدة تبقـى متطمنة طول ما هية معاك !!

وفجأة ارتطم المترو بمترو آخر كان قد غير مساره.. وحدث هرج ومرج وبدأ الناس يقفزون من النوافذ في تلك الربكة المصحوبـة بهلع وذعر رهيب و.. ويحكي لي الصديق أنه لا يعلم مـاذا حـدث بعدها بالضبط.. المهم أنه وجد نفسه - وحده - خارج المترو واقفـا على الرصيف.. إلى أن أدرك الموقف واستجمع نفسه فأخذ يبحث بين الزحام والصراخ عـن زميلاتـه فوجدهـن في حالـة يرثـى لهـا وكانت إحداهن قد أصيبت في ركبتها بجـرح سـطحى فعـرض أن يوصلهن بتاكسي.. ولكنهن رفضن الفكرة وفضلن - مقموصـات - أن يمضين وحدهن إلى بيوتهن.. ويقول الصديق.. ظللت طـوال الليل وأنا في قمة الخجل ولا أعرف كيف أبـرر مـا حـدث.. لقـد كنت قبل الحادث بثوان معدودة أتكلم عـن شـجاعتي ومـع ذلـك تركتهن ونطيت.. وأخيرا تمالك نفسه وكلمهن عند الزميلـة الـتي جرحت في ركبتها ليطمأن عليها وكان الجميع عندهـا.. وقـال لهـن

مبررا.. لا أعلم ماذا حدث بالضبط يبدو أن أحدهم قد دفعني خارج المترو.. أو.. أن.. يعني.. أصل.. لكنه فوجئ بهذا الرد.. احنا مش زعلانين منك عشان نطيت من المترو.. احنا اللي مزعلنا الطريقة اللي انت نطيت بيها!! وعلم بعد ذلك أنه لم يكتف بالقفز من الشباك وإنما يبدو أنه في قفزته داس عليهم بقدميه دون أن يشعر مما أدى إلى ذلك الجرح - السطحي - في ركبة الزميلة العزيزة.. وبعدها أقسم صديقي هذا ألا يتكلم عن شجاعته أو أي من هذه الأكاذيب.. فهو لا يدري ماذا سيحدث بعد ذلك.. قال هذا وأطرق صامتا.. وعرفت الآن فقط سبب خجله الدائم وعزوفه عن الكلام .

وأخيرا هناك شيء قد يثير اهتمامكم بعض الشيء.. إن هذا الصديق الذي ترك زميلاته في المترو ونط هذه النطة المروعة.. لم يكن إلا أنا نفسي!! ولكن لكي لا يسخر أحد من حماقتي.. فضلت أن أقص عليكم هذه الحكاية على أنها جرت لشخص آخر.. ولذا أرجوكم دعوا هذا الأمر سرا بيننا.. شفتوا فيلم البيوت أسرار؟!!

صدفة قابلتك

كنت ماشيا في الكوريدور أحاول الخروج من مبنى التليفزيون بلا جدوى.. فدخول التليفزيون ليس مثل الخروج منه.. دهاليز كثيرة وكوريدورات تنتهي بك دائما إلى النقطة التي بدأت منها.. ولم أستطع طوال هذه السنوات أن أتمكن بسهولة من الخروج مما يجعلني دائما اسأل السعاة والموظفين الواقفين في الطرقة ذلك السؤال المخجل.. والله عاوز أخرج.. أمشي ازاي؟!

ولكنني للحق أجد دائما ترحابا كبيرا من هؤلاء الذين يساعدونني على الخروج أكثر من ذلك الذي أجده وأنا داخل إلى المبنى.. وفجأة.. وجدته أمامي.. كأنه شبح سقط من السقف أو فلاش أضاء فجأة.. ووقف تلك الوقفة إياها.. ناظرا نحوي بعتاب وحب ودهشة ثم تنهد وقال.. تصدق بالله أنا ابن حلال مصفي.. وعانقني بشدة.. أزيك يا جو.. فين.. عشر سنين ما اشوفكش.. ده أنا كان عندي مصلحة في المبنى وجاي أقضيها وطول ما أنا ماشي وانت على بالي.. أقول النذل ده نسيني خلاص.. الغريب أن أنا

قضيت المصلحة من ساعة وكان لازم أمشي.. إنما شوف الصدف.. أتأخر عشان أقابلك.. ازيك يا حبيبي.. ولم أشأ أن أقول له أنني أيضا أنجزت ما أريد إنجازه ولكن أبحث عن طريقة للخروج من المبنى.. ولما كان هو أيضا تائها مثلي.. شوف الصدف!!! فقد استعنا ببعضهم إلى أن خرجنا بسلامة الله.. وكان هو يردد في سعادة.. ما أجمل الصدف.. وخد بالك.. إن أقل الأحداث أهمية يمكن أن تغير حياة الإنسان.. وصدفة عابرة تستطيع أن تحرفنا عن طريقنا تماما.. ثم أمسك بذراعي وقال: ده انت واحشني قوي وديني ما ح سيبك النهاردة.. ح نتغدا مع بعض.. رب صدفة خير من ألف ميعاد.. وركبنا سيارته.. وإذا بعبد الحليم يشدو.. صدفة قابلتك ولا على بالي.. فضحك وقال.. اهوه شفت.. أنا يا أخي الصدف لعبت في حياتي دورا فظيعا.. بعدما خلصت الجامعة.. دوخت على بال ما لقيت وظيفة وبعد ثلاث سنين لف.. أخيرا قبلت في وظيفة.. أروح استلم ألاقى مديري المباشر مين فسألته مين.. يقول خالد النجمي اللي كان معايا في الكلية.. قلت له في ادعاء الدهشة يا سلام قال.. صدفة منيلة.. ده انا كنت ضاربه في الكلية.. وواقعين مع بعض.. قلت ليه بس فأجاب حبينا أنا وهوه واحدة زميلتنا في الكلية وكنا أصحاب.. شوف الصدف يا أخي!! لكن محدش مننا قال للتاني.. لغاية ما عرفنا وطقشنا في بعض ومن يومها بأه واحنا قافلين.. قلت له وماذا فعل حينما وجدك قد صرت مرؤسا له.. قال

ضاحكا.. طلع السواد اللي جواه طبعا واتنطط عليا.. وخارج أنا يوم من الشغل مش طايق نفسي.. تقوم عربية تخبطني.. فقلت له يا ساتر يا رب.. فضحك قائلا.. استنى عليا.. تطلع مين اللي خبطتني.. البنت اللي كنا بنحبها أنا وخالد.. شوف الصدف!! قلت له محاولا أن أقفز على الأحداث.. بس .. واتجوزتها.. صح.. قال.. اتجوز مين.. دي كانت متجوزة.. الصدفة بأه ان جوزها كان صاحب شركة كبيرة وطالبة التخصص بتاعي بالذات.. واشتغلت معاه.. شوف اللفة شوف الصدف.. ده أنا مش عاوز أحكيلك.. ونزلنا إلى المطعم الذي اختاره هو وقال أنا أسمع إن فيه هنا أكل كويس..

ويرن جرس التليفون المحمول.. ألوه يا حبيبتي.. تصوري قابلت مين بالصدفة.. يوسف معاطي.. آه.. وقاعدين بنتغدا ثم يندهش فجأة.. ويقول وهو يبتسم.. لأ.. لأ.. لأ وانتي كمان طيب سلميلي عليها.. وينظر لي وهو في قمة السعادة.. تصور مراتي قابلت مين واحدة صاحبتها بالصدفة وبقالها عشر سنين ما شافتهاش وقاعدة بتتغدا معاها في مطعم جنبنا.. قلت له لتكون اللي قابلتها مراتي برضه!! ولكنك لم تقل لي انك تزوجت.. قال ضاحكا صدفة برضه.. كنت في يوم بأصلح الإيريال.. ورجلي اتزحلقت من رابع دور.. الإسعاف شالتني ونقلوني على المستشفى.. فسألته فورا يبأه الدكتورة قال لأ.. قلت الممرضة؟.. قال لا.. استنى عليا.. مراتي دي كانت جاية المستشفى تزور ناس قرايبها.. أنا مدشدش وارتجاج

وتربنة وضايع.. بصيت لها بنصف عين.. أقولك الحق عجبتني قلت له: انت كان فيك حيل؟! قال روحت قايم أعاكسها راح الجبس بعيد عنك اتكسر ووقعت وقعة سودة.. زي ما تقول صعبت عليها.. وحصل اللي حصل.. ثم قال.. أروح الحمام وأجيلك.. وذهب إلى الحمام.. وتأخر.. ولم يعد يبدو أنه وجد أحدا من معارفه في الحمام بطريق الصدفة فغير مساره فجأة ودفعت أنا الحساب وخرجت لأجد السيارة وعجلتين منها نايمين على الأرض.. وضاع اليوم ولم أذهب إلى التصوير.. وخسرت فلوسا وارتبكت حياتي تماما.. ولم تحدث لي تلك الأشياء اللطيفة الرائعة التي تحدث للناس غالبا بعد وقوعهم في الصدف السيئة فيحكونها محاولين أن يجعلوا من الوقوع في حفرة أو الاصطدام في حادث مقدمة لأشياء جميلة لا نراها في وقتها ولكنني أحكيها لكم الآن لكي اثبت لصديقي هذا أن صدفة لقائي به بالتليفزيون.. كانت وبالا وكانت صدفة سودا.

الأغاني المشئومة

يخلط الناس غالبا ويربطون بين الأحداث السيئة أو الأحـداث الجميلة ، وبين أشياء أخرى تحدث في نفس الوقت.. فهذا دخل إلى بيتنا وفي نفس اللحظة فرقعت لمبات النجفة كلها.. بالتـأكيد هـو ليس له ذنب.. وإنما طبعا يجب أن يتهامس الحاضرون.. يا ساتر.. ده كعبه محني!! دخلته نحس!! وآخر يدخل علينا.. فيأتي لنا خبر سار كنا ننتظره منذ فترة طويلة.. فيهتف بنـا في تفـاخر.. أنـا أصلـي وشـي حلو.. مرزق.. مطرح ما أروح تلاقي الخير جه.. فين نسبتي بأه؟! وفي الوسط الفني بالذات تنتشر هذه الظاهرة بشكل مبالغ فيه.. فـهذا إذا حضر التصوير.. تبوظ الكاميرا.. وتنفجـر الأسـبوتات ويعيـد الممثلون ويخطئون عشرات المـرات ويتعطـل العمـل.. برغـم أنـه بالأمس القريب كانت كل الأمور تمشي على ما يرام.. وقد سـادت هذه الفكرة - وصار المنتجون والنجوم يتعاملون مع العمل الفني.. بطريقة ده مرزق.. ده وشه حلو.. ده نفسه هادي.. ربنـا صـارف لـه.. وهكذا دخلت المسألة في النجـوم والفلـك والبخـور والتعـاويذ.. اللهم احفظنا.. ولكن بعض الأشياء التي تحـدث.. تجعلـك أحيانـا

تكاد تفقد عقلك يا أخي.. فهذا مطرب صديق.. كان يسمعني مطلع غنوة في جلسة ودية.. وفجأة لم تعد الجلسة ودية أبدا.. حيث تلقينا خبر وفاة والد أحد الجالسين.. وتحركنا جميعا والباقي معروف لديكم طبعا.. تصاريح وإجراءات .. حتى الفجر.. وفي مرة ثانية.. ما كاد يبدأ في الغناء حتى حدث الزلزال الأخير.. وانفض المجلس في ثانية.. وجرينا في رعب خارج البيت.. وهكذا انفجرت بعد ذلك أنبوبة بوتاجاز.. واصطدمت سيارتنا صدمة هائلة.. حينما بدأ يغني لنا في السيارة.. وكما ترتبط الأغاني العاطفية بذكريات الحب والرومانسية الجميلة.. فقد ارتبطت أغنية صديقي هذا لدينا بالكوارث.. إلى درجة أن المسألة دخلت في الجد.. فيما يكاد يرفع عقيرته بالغناء حتى يجري الجالسون.. ويطالبونه بأن يكف عن الغناء وإلا ..

ولقد بحثت واتطقست عن تلك الأغاني المشئومة فوجدت أغنية اسمها (يوم الأحد المكتئب) وهي أغنية مجرية كانت تغني في بودابست في العشرينيات.. وهي أغنية عادية نغماتها حزينة بعض الشيء.. وقد أذيعت لأول مرة في مقهى.. ولم يلبث المغني وكان شابا يافعا بعد أن غناها.. إلا أنه انتحر مباشرة.. واشتهرت الأغنية التي انتحر بعدها ذلك الشاب البائس.. إلى أن غنتها بعد ذلك المغنية الشهيرة (أو لجاكيركس) في أحد المسارح الكبيرة.. فأسالت دموع الناس.. ثم دخلت إلى مقصورتها بالمسرح استعدادا للوصلة

الثانية.. ولكن لم يكن هناك وصلة ثانية فقد وجدوها ميتة في مقصورتها وقد انتحرت بالسم.. ولم يستطع أحد حتى الآن أن يعرف السبب الذي يؤدي بمن يغني هذه الأغنية للانتحار بعد غنائها مباشرة.. والتي مات على أثرها أكثر من عشرين واحدا.. كلهم يغنون ويفيصون بعدها علطول.. وقد تندر البعض وقالوا إن اللحن مسموم.. وآخر قال إن الكلمات مركبة بطريقة تدمر الجهاز العصبي.. وقد ثبت بالتجربة خطأ هذه الاستنتاجات. بعد أن سمعنا الأغاني الشبابية الأخيرة إياها وما حصللناس أي حاجة.. شوية تخلف كله على خفيف قوي ..

ويقال إن البوليس قد تدخل بعد ذلك ومنع ترديد الأغنية.. وكم تمنيت أن يجرب شارون صوته ويشجينا بتلك الأغنية الرائعة.. (يوم الأحد المكتئب) .

وفي أمريكا.. رفض أحدهم أن تعزف السيمفونية السادسة لتشايكوفسكي في مدينة ديترويت محتجا بأن القطعة مشئومة.. وقال: لقد عزفت هذه المقطوعة ١٥ مرة وفي كل مرة كنت أسمع بوفاة أحد أصدقائي.. ولقد مات تشايكوفسكي نفسه بالكوليرا بعد أن عزفها لأول مرة أمام الجمهور.. وعليه فأنا أقترح على المخابرات الأمريكية أن تبحث في موضوع تشايكوفسكي هذا.. وتتأكد بنفسها هل عزفت السيمفونية السادسة يوم ١١ سبتمبر وتتحقق بسرعة من هويات الأوركسترا .

وأوبـرا شـارل الســادس.. منعـت مـن العـرض أيضـا لنفـس السبب.. ويقال إن المغني كان يقول في أحد مقـاطع الأوبـرا. اقتلـه يارب.. فسقط أحد المتفرجين ميتا في مقصورته.. وفي الليلة الثانية.. نفس المغني يصرخ بصوت أوبرالي جبار.. اقتله يارب.. فمات أحـد العازفين على الفور.. وبدأ الضحايا يتساقطون.. قائد الأوركسترا.. المتفرجون.. المغنيون.. هكذا.. مثل التنويم المغناطيسي أو لنقل إنـه التمويت المغناطيسي.. وأوقفت الأوبرا تماما.. وصـار ذكرهـا مثـل الجحيـم.. فـهذه تدعـو علـى زوجـها.. أشـوفك في أوبـرا شــارل السادس قادر يا كريم.. وهــو يقـول لنفســه وكأنـه يدنـدن اقتلـها يارب، وبعد تسع سنين تحرى نابليون الثالث عن هــذه الشـائعة.. وقال مثلما قلت أنا في بداية المقال. . ايه الكلام الفارغ ده.. تشاؤم أيـه ونيلـة أيـه.. وأمـر بعـرض الأوبـرا.. وأقـر أنـه ســيحضرها شخصيا.. ولكن.. قبـل رفـع السـتار.. ألغيـت الأوبـرا.. لأن أحـد الفوضويين اعتدى علـى موكـب الامـبراطور وهـو في طريقـه إلى الأوبرا.. وكان عدد ضحايا الحادث ٥٦ قتيلا ..

وعليه فإنني أعرض على شارون خيار جديد نوفي.. ومختلفا عن كل أنواع الخيار السابق.. أن يغني لنا تلك الأغنيـة الجميلـة (يـوم الأحد المكتئب) التي لم تخيب ولا مرة أو يقبل دعوتي لكي يحضـر أوبرا شارل الســادس حيـث يغـني الكـورس في صـوت أوبـرالي مهيب وفي نفس واحد.. اقتله يا رب ..

الرأي والرأي الآخر

(ششت.. بس بأه اسمعوا دي يا جماعة.. دي المقالة اللي نازلة في الملحق الجمعة الجاية) هذه الجملة.. أقولها للأصدقاء منذ أكثر من عشر سنوات فقد تعودت أن أقرأ مقالاتي لكل من أقابله من الأصدقاء قبل النشر.. فلم - وما زلت - أكن أجرؤ على أن أكتب وأرسل المقال هكذا خبط لزق ولذا كنت أفضل دائما أن أتعامل معهم - مع فائق الاحترام - كحقل تجارب.. فإذا ضحكوا وسخسخوا على أنفسهم من الضحك.. يعتمد المقال . وبارك الله فيما رزق.. وإذا سهموا.. ونظروا إلي تلك النظرة الخاوية البشعة.. لا أسألهم رأيهم.. وإنما بكل نفس مسامحة.. أطبق المقال.. ودوغري على سلة المهملات.. فقد أقبل هذه النظرة من خمس ست أنفار.. أما أن أتحمل تلك النظرة من مليون واحد.. كارثة !!

ولأنني أساسا أكتب للمسرح .. فلقد تعودت على أن تكون البروفة الجنرال هي المحك والمقاس الذي يقاس به رد فعل الناس للرواية.. وصارت قراءتي للمقال على أصدقائي بروفة جنرال

أجرب فيهم ما كتبت ولأنـهم يمثلون طوائـف مختلفـة وطبقـات نفسية وثقافية متباينة فكان حكمهم غالبا ما يكون حكما صائبـا.. سواء فيما أنشر من مقالات أو فيما ألقى به في سـلة المهملات.. ولكني قررت هذه المرة ألا أقرأ لهم أو أعتمد عليهم بعد ذلك وأن أكتب المقال مباشرة وأنشره لحضراتكم واضعا يدي على قلبي من شدة الذعر والخوف من ألا يعجبكم والسبب يا أعزائي إنـك إذا أخذت رأي أحدهم في شيء.. اعتبر نفسه صانعه.. وسيجلس مع طوب الأرض وهو يبتسم بثقة ويقول.. دي مقالاته كلـها مكتوبة على إيدي.. ده حتى المقال ما كانش عنوانه كده.. أنا اللي قلت لـه غيره.. راح مغيره.. وهكـذا صار الذين تقـرأ لهـم يكتبون لـك. السبب الثاني.. أنهم بحكم العشرة.. شعروا بـأن المسألة سـهلة.. فأمسك كل واحد منهم قلما وورقة وكتـب مقـالا وجـرب أيـده.. ولأنه يكتب بالعدوى.. فقد أصر كل منهم على أن يقرأ مقاله لنـا جميعا في الجلسة كما كنت أفعـل.. فصار حقـل التجارب غاصـا بالعمليات.. السبب الثالث بأه.. أنني أخرجت كل مـا لم يعجبهم من مقالاتي القديمة التي ألقيتها في سلة المهملات.. وقرأتها لشـلة ثانية طالعة في المقـدر جديـد.. فأعجبتـهم جـدا وانفجـروا في الضحك.. وقال أحدهم.. لماذا لم تنشر هذا؟! إنه أفضـل ممـا ينشـر لك بكثير؟!

إن اعتمادنا على آراء الآخرين يكلفنا كثيرا بعد ذلك.. فالذي أخذت رأيه في أن أتزوج مجرد رأي عابر.. ولا أذكر حتى ماذا قال يومها.. الآن داير في كل حتة يقول.. ده أنا اللي مجوزه.. وقبل أن أطلع في برنامج على الهواء قلت لأحدهم ما رأيك أن أبدأ البرنامج بأن أقول كذا.. وكنت أنا بعدها على الهواء مباشرة وهو على المقهى مباشرة يقول للجالسين أنا اللي قايل له المقدمة دي.. شوفوا أهوه ح يقول كذا.. يا عيني.. كلامي.. الله عليا!! وإحقاقا للحق لقد كنت مغاليا إلى حد كبير في مسألة أخذ رأي الآخرين في كل شيء.. أنا جعان.. آكل إيه؟.. بعضهم يقول لحمة وآخرون يقولون فراخ.. إلى أن يستقروا على رأي.. فيأتي السمك المشوي.. وآكله.. برغم إنني لا أحبه إلا أنني أشعر أنني أرضيت الجماعة.. إن محاولاتنا الدائمة لإرضاء الآخرين والاعتماد على آرائهم بموضوعية زائفة مسألة عبثية.. فأي حاجة في الدنيا تعملها.. هي رأي.. حتى لو كان رأيا خاطئا.. فليترك كما هو بعبله.. فإذا كان ما أقوله هو رأيي فما الداعي لأن أعرف رأيك في رأيي.. ياه الموضوع اتعقد خالص.. لتذهب الآراء كلها إلى الجحيم.. لأكتب المقال.. وأرسله فورا إلى المطبعة.. من الفرن لأيدي الناس سلخنا طازجا سأجمد قلبي وأفعلها. وماذا فعلت الآراء يعني؟! أراهم على كل الشاشات والصحف يثورون ويختلفون ويمسكون في رقبة بعضهم بعضا.. وفي المساء يذهبون إلى بيوتهم ويتعشون وينامون..

تماما مثل مباريات الكرة.. خناقات وضرب وفي المساء يجتمع اللاعبون من الفريقين المتنافسين في أي نايت كلوب.. وهات يا ضحك.. افعل مثل روبنسون كروزو الذي عاش وحده في جزيرة لم يعكنن عليه فيها أحد بآرائه العظيمة.. وسيدنا آدم كان يعيش في النعيم إلى أن ظهرت ستنا حواء وقالت له.. من فضلك احترم رأيي أنا بأختلف معاك.. وبدأ وجع الدماغ.

عزيزي القارئ.. يبدو أن المساحة لن تسمح لي بأن أكتب ذلك المقال الأول الذي أطرحه عليك مباشرة ودون أن يمر على لجنة استماع من الأصدقاء.. ولكن وحياة أبوك يا شيخ هل قرأت شيئا شبيها بذلك في أي حتة؟! إذا أعجبك أرجوك ابعث لي حتى أعيد نشر نفس المقال في العدد القادم.

ملحوظة :

أعترف بأنني قرأت هذا المقال على مجموعة من الأصدقاء (المستمعين) وأعترف أنهم جميعا اتفقوا على ألا أنشره..

عبد الفتاح القصري .. يكتب

حينما دخلت مكتبه.. لا أنكر أنني أصبت بنوع من الدهشة.. فالمكتب بسيط.. بسيط للغاية لا يتناسب مع مقام صاحبه.. ويبدو أنني لم أكن أول المندهشين.. لأنه ابتسم بسرعة وقال لي.. أيه رأيك في المكتب؟! عرفت الآن.. أين هذه الملايين التي أنفقتها على المكتب ثم أمسك بيدي وقال.. تعالى.. هذا هو الكرسي الذي قالوا أنني استوردته وحده.. بعشرين ألف جنيه.. كان الكرسي يشبه تلك الكراسي التي نؤجرها من بتوع الفراشة.. وأردف قائلا والشلتة دي من بيتي.. ثم ضحك قائلا: تعال لكي أريك غرفة النوم والحمام الإيطالي.. وإذا بحجرة صغيرة جانبية حقيرة للغاية وليس بها سوى كنبة استوديو.. وحوض.. وفوطة وشبشب وآثار الرطوبة واضحة على الجدران كأنك في أوضة البواب.. ثم قال: أديك شفت بعنيك ولا أريك ذلك لكي تكتب أو تدافع عني.. أرجوك أنا مش ناقص.. فهم في البداية قالوا أنني أتقاضي رشاوي وعمولات بالملايين.. ثم إذا كتب أحدهم عني شيئا جيدا.. قالوا إني أرشيه.. فهكذا أنا راشي ومرتشي.. تلك هي ضريبة العمل

العام.. كان الجو شديد الحرارة.. والمكتب ليس به تكييف وحينما طلبت ليمونا.. جاء لي الليمون ساخنا.. وكان هو يعتذر بلطف ويقول.. استحملنا بأه.. فقد قدمنا عدة مرات لطلبية ثلاجات وتكييفات للمصلحة.. ولكن كلما جاء الاعتماد استخسره في نفسي وأقول: هل اجلس أنا في التكييف واتناول المرطبات بينما المواطن يلاقي الأمرين.. فاحوله إلى بند آخر.. ألم أقل لك.. وساطلع بعد كل ذلك راشي ومرتشي.. ثم تركني فجأة وأخرج ملفا ضخما به أقصوصات من الصحف.. وقال.. هذا يا سيدي ما كتب عني.. مرة يكتب عني إسماعيل ياسين ومرة بشارة واكيم ومرة أخرى شكوكو لو كنت جبلا لسقطت.. ومع ذلك.. أنا أعمل.. هم يريدون أن يحاسبوني الآن.. وأنا أرى أن الحساب يوم الحساب.. ثم استأذن ليتوضأ.. وبعد قليل عاد لي بوجهه المضيء وقال: أرجوك ألا تكتب ذلك.. لا تدخل نفسك في مشاكل، سيبها على الله.. أما إذا كنت مصرا على أن تكتب فخذ هذا.. وأخرج دوسيها آخر.. وضعه أمامي.. تلك يا سيدي إنجازاتي في الفترة التي خدمت فيها.. لقد استلمت المصلحة هكذا.. وكله أمامك بالصور.. كانت خرابا.. انظر ماذا فعلت.. أخذت أتأمل الصور والأرقام وأنا أضرب كفا بكف، هل تم كل هذا فعلا؟! لماذا تكبر الأشياء السيئة بهذه الصور ويسلط عليها الضوء.. ولماذا لا يعرف الناس أن هناك من يعمل بشرف حقا .. وأفقت من شرودي على صوته وهو يقول.. يا عم اسمع كلامي لا تكتب ولا تتعب نفسك.. والله أنا

أريدهم أن يعفوني من هذه المسئولية.. أنا أمكث هنا في المصلحة أكثر من ١٨ ساعة في اليوم.. لا أرى أولادي إلا في الإجازات وحياتي عندك لا تكتب هذا أيضا.. قلت له لا.. سأكتب ليس من أجلك وإنما من أجل الناس.. فدورنا لا يقتصر على أن نكشف لهم الفساد وإنما أن نكشف لهم أيضا حقيقة الشرفاء الذين يعيشون بيننا.. قال في خجل.. لا أرجوك أنا أؤدي (واجبي) فقط.. وقلت سأكتب.. وقال في استسلام.. اكتب زي ما أنت عاوز.. وخرجت من مكتبه وأنا أفكر في العنوان الذي سأقلب به الدنيا.. ولكن سكرتيره قابلني في الكوريدور وقال لي.. اتفضل يا باشا.. وأعطاني مظروفا منتفخا .. فتحته فوجدت به مبلغا محترما.. فعدت مسرعا إلى مكتب صاحبنا وأنا في قمة الغضب.. ولكن الساعي الذي أدخل لي الليمون الساخن كان يحمل صينية فاخرة عليها كاسات رائعة بها مشروب مثلج لم أعرفه.. فقلت له الباشا جوه.. فقال الساعي ببراءة: لا يا بيه ده راح مكتبه.. المكتب الثاني!!

ولم يكن أمامي سوى أن أعيد المظروف في موقف درامي مسرحي أمام شهود وأخرج غاضبا أمام الكل ولم يكن أمامي أيضا سوى أن أكتب.. وكتبت وكلمني في التليفون يعاتبني.. وجاء لكي يقابلني ويوضح موقفه.. بدأ لقاءه معي بأن وضع يده على المصحف وقال.. وحياة المصحف الشريف ده على عنيا يا شيخ ما أخذت مليم رشوة من حد.. قلت له وبماذا تفسر كل ما عندك.. قال جاء لي أحد رجال الأعمال يعرض صفقة.. ويلمح لي

بالعمولة.. أتعرف ماذا فعلت.. طردته.. واسأله سيقول لك.. وأعطيته الصفقة دون أن أخذ مليما واحدا.. فقلت له والفيلا التي في مارينا.. قال.. بيع وشرا.. دفعت له فلوسها على داير مليم.. قلت له والسيارة الجيب التي يركبها ابنك فأجاب عليا النعمة ثمنها مدفوع بالكامل.. وكاش.. ومكتبي هذا الذي زعلك مني.. لم تدفع المصلحة لي مليما واحدا.. كله على حسابي الخاص.. الموبيليا والتكييفات وكل شيء.. ولكنه أثار حقد البعض.. فلم أعد أقابل أحدا في هذا المكتب.. أنا لا أنكر أنهم حينما باعوا لي الفيلا والسيارة وهذه الأشياء عملوا لي خصما وهذا مشروع.. أنت نفسك ألا تشتري أشياء وتأخذ عليها (خصم) ثم أخرج دوسيها وقال هذه هي العقود والإيصالات التي اشتريت بها كل أملاكي من حر مالي.. كانت السيارة الجيب بألفين وستمائة جنيه.. أما الفيلا التي في مارينا.. فقد ذبحوه في سعرها.. الفيلا بسبعتلاف جنيه دفعها على عشرة أقساط وسدد ثمنها بالكامل وأخيرا نظر لي نظرة بريئة حالمة.. وقال: هل اطمأن قلبك.. قلت له.. نعم لقد اطمأن قلبي تماما فقال: إذن هذه المرة أنا الذي أطلب منك أن تكتب وترد لي اعتباري.. فأخذت نفسا عميقا وقلت له.. حاضر.. سأكتب .

إمضاء

عبد الفتاح القصري .

أبو الكباتن

هل بدأ شعري يخف قليلا؟! قالوا لي احذر.. لقد بدأت تظهر عليك أعراض الصلع ولم تعد الجمجمة متمسكة بخصلات الشعر كما كانت قديما ولم تعد أيضا متمسكة بالأفكار القديمة والذكريات البالية . لقد بأت أنسى بشكل فظيع.. إنه (الزمايهر) بلا شك!! قال لي أحدهم وهو يصلح لي الكلمة! الزهايمر.. اسمه الزهايمر قلت له يأخي بقولك بأنسى اشمعنى دي اللي ح افتكرها!!

قال لي طبيبي الخاص.. الذي لا يحضرني اسمه بالضبط في الوقت الحالي.. هذا دواء للصلع يتكون من أربعة أقراص فقط.. القرص الأول يزيل الصلع في أسبوع واحد.. ولكنه يضعف القلب بعض الشيء.. وحينما ارتسمت ملامح الخضة.. على وجهي.. ابتسم وقال ما تخافش كده.. خللي قلبك جامد ما هو القرص الثاني معمول عشان كده.. ده يا سيدي ح يعالج أي مشكلة في القلب استريحت؟!! أخذت نفسي وقلت آه.. كده معقول ولكنه أردف قائلا بس القرص التاني ده يمكن يعمل لك شوية مشاكل

في الأسنان. إيه مالك؟! وضحك قائلا أمال القـرص التـالت ده ح تاخده ليه.. مـا هـو عشـان يعـالج أي حاجـة في الأسـنان.. اطمئـن خالص.. أطرقت صامتا وقلت له والقـرص الرابـع ده بـأه لازمتـه ايه؟ فقال أصل أحيانا القرص التالت ده يعمــل شـوية زغللـة في العين.. ما تخافشي.. انت عارف أي دوا بيبآله آثار جانبية.. قلت له المهم القرص الرابع ما يبآلوش آثار جانبية.. هنا قال بثقة.. لأ ده ح يحل لك موضوع الزغللة تماما.. بس.. وبلع ريقه وقال: بس هــو - مشكلته الوحيدة إنه بيوقع الشـعر فـإذا حصـل ح نكـرر الـدوا.. وهكذا كل شيء إيجابي له بعــض الآثـار الجانبيـة فالكتابـة مثـلا عملية رائعة ولكن لها العديـد مـن الآثـار الجانبيـة ولا أحـب أن أطلعكم عليها حتى لا تفر الدمعة من أعينكم فـأفقد عملـي هنـا لأن الملحق كوميدي كما تعلمون.. والزواج شيء عبقري ولكنه له آثاره الجانبية التي لن أطلعكــم عليـها برضـه.. حتـى لا أبيـت في الشارع بعد صدور العدد وفي ليلة الجمعــة لا يوجـد مكـان خـال على باب السيلة والرصيـف كومبليـه.. والسـلام فكـرة حضاريـة جذابة للغاية.. ولكنها لها آثارها الجانبية أيضـا.. والـتي نراهـا الآن على جميع الشاشات وفي كل نشرات الأخبار.. وقد قال لي اسمه ايـه ده - ذات مرة .. قال ايه.. بيقولوا الفياجرا بتتعب القلب وبتزغلل العين.. كل ده كلام فاضي.. اديني أهــوه قلـبي زي الحديـد ونظـري ستة على ستة.. هما الناس كله ما بيحبوش الخـير لبعـض.. وقـد جلـس زوج مـع زوجتـه وهمـا يحـددان بنـود الميزانيـة الشـهرية..

والمرتب يصارع بينهما كأنه فرخة مذبوحة.. إلى أن قال لها الـزوج.. اسمعي مفيش قدامنا غـير حاجـة مـن اتنـين.. يـا إمـا مـا ندفعـش الدروس الخصوصية للأولاد الشهر ده.. يا إما نأجل الفياجرا بـأه.. فشردت الزوجة مفكرة ثم قـالت.. خللـي الـولاد يعتمـدوا علـى نفسهم في المذاكرة يا أخي!! هـوه احنـا عمرنـا كنـا أخذنـا دروس خصوصية؟! وليس الدواء فقط الذي له آثار جانبية المـرض أيضـا له آثار جانبية.. فقد نتج عن سقوط شعري وذاكرتـي هـذه الأيـام أنني أقـابل كـل أصدقـائي القدامـى فـلا أتذكـر اسـم أي منـهم فأستعين بتعبيرات بديلة أقابل بها الشخص منهم.. أهلا.. حبيـب قلبي.. أبو الكباتن.. الباشا الكبير.. عمنا.. ازيـك يـا ملـك.. وكـل هذه التعبيرات ما هي إلا محاولة خبيثـة مـني للـهروب مـن تذكـر الاسم الذي طار تماما من رأسي مما جعل بعضهم يتهمني بالنفـاق والرياء لكل من هب ودب.. وأنا لست منافقا والله ولكنها بعض الآثار الجانبية لداء النسيان اللعين.. ولا شـك أن الأعمـال الفنيـة والبرامج التليفزيونية لها آثارها الجانبية برضه كـأي مضـاد حيـوي ولا تقتصر على كونـها حتـهدك وحتنيمـك.. وإنمـا تتعـدى ذلـك بكثير ولذا فما المانع أن ينزل بعـد تيـترات الـبرامج أو في ظـهر علبة شريط الكاسيت تحذير لمرضى ضغط الدم والسكر العصـبي بألا يشاهدوا هذا البرنامج أو يسمعوا هذا الشـريط إلا بتصريـح من الطبيب.. وقد قال لي صديق عمري وحبيب قلبي.. أبو الكباتن (معرفش اسمه رايح عن بالي ليه) إنه يفعل ذلك مـع أسـرته وأنـه

الذي يحدد ما يطلبه المشاهدون من أسرته فقد نتج عن مشاهدة زوجته لعروض الأزياء أنه دفع ٣٠٠٠ جنيه ثمنا لبدلة شافتها وكانت ح تموت عليها.. والحمد لله اشترى البدلة وزوجته بصحة جيلة وماماتتشي ولا حاجة.. ونتج عن مشاهدة مقاصيف الرقبة إعلانا للملاهي في التليفزيون أنه أنفق نصف ماهيته في الهواء.. أعني في المراجيح.. وهو ينظر في أسى لفلوسه وهي طالعة نازلة أمامه وظل هو باقي الشهر يتأرجح برضه.. وبعدها قرر صديقي أن يعلن حظر التجول بالريموت بين المحطات وقام هو بتعليق البرنامج اليومي لما سمح لهم بمشاهدته في لوحة بجوار التليفزيون بتوقيت جرينتش حيث يبدأون يومهم بمشاهدة الفقرة الزراعية ثم يشاهدون ذلك الرجل الذي يفهم في كل شيء ويتكلم في كل شيء.. ثم نقلة سريعة لقناة المنار لكي يروا ما يحدث لإخوانهم الفلسطينيين حتى يختشوا على دمهم.. ثم نشرة الأخبار حيث يشاهدوا المذابح التي يقوم بها السفاح شارون .. هذا ليعطيهم فكرة عما يمكن أن يفعله إذا خالفوا النظام وطالبوه بتلك المطالب التي عكرت صفو حياته.. وقد عاد صديقي يوما فوجد التليفزيون محطما وكأنه قنبلة قد انفجرت في البيت ولما لم تعلن حماس مسئوليتها عن الحادث فقد أدرك أبو الكباتن أن أطفاله قد قاموا بانتفاضة.. وعليه فقد أدرك أن الآثار الجانبية للقمع والكبت أكبر بكثير من الآثار الجانبية لإطلاق الحرية.. وجلس أبو الكباتن مع الكباتن.. أطفاله.. ليتفاوض.. أو بالأحر.. ليجر ناعم..

كيف تصبح وزيرا؟!

لأطول فترة ممكنة؟! عذرا.. فالعنوان طويل ولذا فأنا قسمته نصفين نصفه الأول جعلته عنوانا للمقال.. ونصفه الثاني بدأت به المقال.. ولقد أوقعت نفسي في مأزق إذ أنني يجب أن أجيب على سؤالين لا سؤال واحد.. كيف تصبح وزيرا؟! ولأطول فترة ممكنة؟!

ولكي أتفادى الوقوع في هذا المأزق.. اسمحوا لي أن أرجع بكم بتاع ألفين وخمسميت سنة لورا كله حتى نستطيع أن نتكلم براحتنا فعظمة التاريخ ليست فقط فيما يحتويه من عبر ومواعظ ننتفع أو لا ننتفع بها وإنما في قدرتنا على أن نتكلم بلا حساسية باعتبار أن اللي حصل حصل.. وباعتبار أن اللي فات مات ، ولا أستبعد أن يطلع كتاب بعد ألفين وخمسميت سنة برضه.. إذا كان لسه فيها ألفين وخمسمية تاني ويعمل زيي.. ويرجع برضه.. سأكلمكم عن أهم وزير في مصر.. عذرا.. في مصر القديمة.. خليكوا فايقين شوية معايا وحياة أبوكو.. اسمه رخمي رع.. وهذا الوزير ظل على راس

الدولة طول مدة حكم تحتمس الثالث.. وشوية كمـان مـن حكـم أمنحتب الثاني الذي جاء بعده.. وهو من عائلة كلـها وزراء يعـني مأصلين في الوزارة.. ويمكن هما اللي بدعوا حكاية الاسـتوزار في الدنيا كلها.. ويحكي رخمي رع يوم توليه الوزارة حينما أرسل إليـه الفرعون يطلبه للمثول بين يديه.. طبعا أكيد كان فيه قبلـها كـلام وإشاعات وده يقول له انت مترشح.. وكاهن معبد أمون يقول له.. ح تسمع خبر كويس يا رخمي.. إنما.. لم يتأكد كل هذا إلا حينما أتى له مندوب القصر الفرعوني ليأخذه إلى القصر.. وعندما وصل إلى مدخل باب القصر انحنى أمامه رجال الحاشية وأخذ يسير والحاشية يفسحون له الطريق.. ما هـم الحاشـية بيبـأه ليـهم نظـرة برضـه.. ويقول رخمي رع.. وكان كل إنسان ينظر نحوي كما ينظـر إلى بريـق الجدران المرصعة بالفيروز.. المـهم دخـل رخمـي رع قاعـة العـرش ليسمع وهو يكاد لا يصدق أذنيه تحتمس الثـالث وهـو يقـول لـه احنا عاوزينك معانا في الوزارة يا رخمي.. ثم قال الفرعـون.. سـلح نفسك بالمبادئ.. وكن قويا في العمل ولا تكل وناهض الشـر.. إن القصد من منصب الوزير ألا يجعـل لنفسـه ولا لموظفـي وزارتـه اعتبارا ما.. وألا يتخذ من الشعب عبيدا.. تأمل معي يا رخمـي.. إن منصب الوزارة ليس بالحلو أبدا.. إنه مر المذاق كـالعلقم.. وخـرج رخمي رع من عند الفرعون.. وعصاه علـى ظـهره تلـك الـتي كـان داخلا يتوكأ عليها.. فقد شعر في شيخوخته هذه أنه عاد شابا فتولي

الوزارة ينقص من العمر عشرين سنة علطول.. وبدأ على الفور في تشييد مقبرته الفخمة ليسجل على جدرانها كل الأعمال العظيمة التي ينوي أن يقوم بها.. مشروعات صناعية ضخمة.. العمال شغالين.. والرسامين شغالين في المقبرة.. استصلاح أراضي زراعية.. الفلاحين شغالين.. والرسامين شغالين.. لتصبح المقبرة سجلا لإنجازاته في حياته.. وبدأ الكتاب يتفننون في ألقاب رخمي رع.. حتى صار له أكثر من مئة لقب أهمها.. السمير الذي يستطيع الاقتراب من شخص الفرعون.. و(صاحب المقام الأول في نظر الشعب) وألقاب أخرى رائعة ورنانة.. لا نلومه عليها فالواقع أن المصري في كل عصور تاريخه يميل إلى الإغراق في الثناء على نفسه والتمدح بمميزاته.. وشعبنا في الحقيقة لا يبخل أبدا على حكامه بهذه الألقاب طالما أنها تسعدهم.. ولكن لا يزال رخمي رع يحلم بالخلود.. فأمر الرسامين أن يرسموا صورته على جدران المقبرة.. وهو يعود إليهم بعدما يموت في صورة ملاك.. إلى عالم الأرض ليستلم ثانية أعباء الوزارة.. ومساعدة قومه بكل ما يسعدهم.. وللحق يقول المؤرخون إن رخمي رع كان وزير شغال وأنه أعظم وزراء مصر قاطبة.. وفي عصره صارت مصر إمبراطورية مهولة يخشاها العالم القديم ويعمل لها ألف حساب ، كما يقال أيضا إن الشعب تمتع في أيامه برفاهية ليس لها حدود.. وإن العدل والحق كانا يحكمان البلاد.. ومن المناظر الجميلة التي نراها على

جدران المقبرة.. جلسة استقبال رخمي رع لممثلي البلاد الأجنبية ليسلموه الجزية.. تراهم أمامه قاعدين مربعين أيديهم في أدب وكأنهم قاعدين في الفصل.. ولا خلاف في أن هذا المنظر الذي يقدم فيه أولئك الأجانب خضوعهم لمصر واعترافهم بسيادتها يعد من المظاهر الهامة جدا.. ورغم هذه الهيمنة المصرية الهائلة.. كان رخمي رع بيحضر أفراح برضه.. وعنده قصر فخم على النيل وعايش حياته إنما كان برنامجه اليومي لا يتغير.. كان يطلع من صباحية ربنا على قصر تحتمس الثالث.. ويقعد معاه ساعتين.. يقول له أوضاع البلد بكل صدق.. وبعدين ينزل يلف بأه.. ويحط ايده ومناخيره في كل صغيرة وكبيرة ولم يكن يدلي بأي تصريحات.. فلم يكن المصريون القدماء قد اكتشفوا التصريحات بعد.. ولهذه الأسباب كلها.. لم يتغير.. حتى بعد رحيل تحتمس الثالث.. ومجيء أمنحتب الثاني.. ظل وزيرا ولم يطالب أحد أيامها.. بالتغيير حتى استطاع أولاد الحلال.. أن يوقعوا بينه وبين أمنحتب الثاني.. ولم يعرف أحد تفاصيل الوشاية.. إنما تشويه مقبرته وكشط إنجازاته من على الجدران كانت هي نهاية وزير أراد الخلود.. ولكنه برغم كل ذلك.. حصل عليه.. ألم أكتب عنه أنا هذا المقال بعد ألفين وخمسميت سنة؟! كلمة حق أردت أن أقولها في حق هذا الوزير العظيم.. أسجلها له الآن.. ولم أكن استطيع أن أسجلها أيام أمنحتب الثاني.. وإلا كشطني أنا راخر ..

كلام الناس

حينما قال الفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر.. إن الجحيم هو الآخرون.. صدقته.. وحينما عاش روبنسون كروزو وحده في جزيرة منعزلة.. وأوهمنا بأنه كان سعيدا مرتاح البال لا ينغص عليه شيء.. صدقته.. وحينما قمت فجأة مؤرقا من نومي، في الرابعة فجرا.. ووجدت البيت كله نايم.. والأصدقاء نايمين في بيوتهم.. ولا أحد مستيقظا في الحياة غيري.. أدركت أن سارتر وكروزو كانا كاذبين.. إن السعادة كالقبلة لا تظفر بها إلا بالمشاركة والسعادة هي الآخرون.. وأنت مهما أحببت نفسك لا يمكن أن تشعر بالسعادة معها.. ولقد عرفت شخصا كان أنانيا بصورة مرعبة.. ومحبا لذاته بجنون.. لدرجة أنني تصورت أنه من فرط حبه لذاته بجنون.. وغرامه بها لو ترك وحده مع نفسه في مكان عام لألقي القبض عليه بتهمة خدش الحياء العام.. ومن سخريات الحياة أن يكون أحب الناس إلينا هم في الغالب أشد إثارة لنا من أعدائنا.. بل إننا نستطيع أن نتحمل الثقلاء والأرازل ومن لا نحب من الناس بأن نضمر لهم الحذر.. ونعاملهم بأدب مفتعل

ولكننا نغضب ونذهـل لملاحظـة عارضـة أو موقـف يقفـه إزاءنـا واحد ممن نحب.. ولذا فلا معنى لمـا يسـمى بالموضوعيـة في الـرأي وعدم التحيز لمن نحب.. لا.. هذا كلام فاضي.. أنت يجب أن تكون متحيزا بشكل مـا.. ومـا أشبه ذلـك بأسـد يحـاول أن يفترسـني.. فتصرخ زوجتي قائلة.. هيا اهجم عليه يا زوجي العزيز.. اقتله.. ثـم تقول للأسد.. وأنت أيها الأسد.. لا تسكت له.. دافع عن نفسك!! قارنوا ذلك بموقف زوجة الأسد إذا كانت تشهد الموقف!!.. والحياة هي حفلة كلمـا استغرقت في المتعـة بـها تـزداد متعـة الضيـوف الآخرين وكانت الحفلة ناجحة .

هل تشعر بالملل والسأم الحنق ؟ عندي لك مشـروع يخلصـك من كل هذا.. ولقد جربته أنا شخصيا وكانت لـه نتـائج مذهلـة.. ولقد أطلقت عليه مشـروع الحديـث إلى شـخص آخـر.. أي حـد معدي عليك اشبط فيه وتكلم معه فتح معاه أي كلام.. فهذه بائعة مناديل اعتدت أن أعطيها خمسين قرشا يوميا أثنـاء مـروري عليـها ولا آخذ منها مناديل.. قلت لنفسي.. ولماذا لا تتحدث إليها.. قلـت لها.. أزيك يا ستي عاملة أيـه؟ مبسـوطة؟ وأعطيتـها نصـف الجنيه المعتاد. فقالت لي في خجل.. معلش يا بيه.. بس المنديل بأه بخمسـة وسبعين قرش دلوقت!! وهذا صديق جبان يجب أن يعمل عمليـة.. وظل سنوات يتردد في عملها من فرط خوفه من مجرد دخول غرفـة العمليات وتحدثت معه.. إلى أن أقنعته وذهبـت معـه إلى العيـادة..

ودخل الطبيب وكان شابا باسما ممتلئا بالحيوية.. وكان في يده حقنة تخدير ضخمة.. روع صديقي حينما رآها.. فابتسم له الطبيب وقال.. باين عليك أول مرة تعمل عملية صح.. قلت له مشفقا عليه أيوه يا دكتور.. فقال الطبيب.. وخايف كده ليه.. أنا كمان والله أول مرة أعمل عملية !!

وهذا صديقي سليم فتح الله.. كان لا يعرف من اللغة الفرنسية سوى كلمتين.. بريجيت باردو.. وهما في الواقع يمثلان كلمة واحدة في خيال صديقي.. لامرأة فائرة الأنوثة.. يعشقها ولم يترك لها فيلما لم يشاهده.. دون أن يفهم منها كلمة واحدة.. وقد ذهب إلى مطعم فرنسي يعلق صورة لنجمة الإغراء الفرنسية الشهيرة.. وجلس ليأكل.. فجاءه مدير المطعم وهو رجل فرنسي مهذب وقال له.. بون ابيتيه.. فقام صديقي بلحترام وسلم عليه وقال كأنه يقدم نفسه سليم فتح الله.. وتكرر هذا ثلاث مرات.. كل يوم يذهب ويتغدا في المطعم.. ويأتي الرجل الفرنسي.. ويقول له.. بون ابيتيه.. ويرد صديقي قائلا.. سليم فتح الله.. إلى أن جاء لي.. وقال لي.. هؤلاء الفرنسيون يا أخي مصابون بالزهايمر.. لقد قدم الرجل لي نفسه ثلاث مرات وأنا أقدم له نفسي أيضا.. ثم يعود ليعرفني بنفسه مرة أخرى ليقول لي بون ابيتيه.. أقول له سليم فتح الله.. قلت له.. الراجل ما اسموش بون ابيتيه يا جاهل.. الراجل بيقولك بالهنا والشفا بس بالفرنساوي.. فهمت فخبط سليم على رأسه وقال..

معقولة!!.. ده أنا طلعت أبيض في الفرنساوي.. وذهب سليم في اليوم الرابع.. فوجد الرجل الفرنسي يأكل في المطعم فاقترب منه سليم وقال له.. بون أبيتيه فقام الفرنسي من مكانه وابتسم وقال.. سليم فتح الله !!

ولقد جرني مشروعي (الحديث إلى شخص آخر).. إنني في يوم واحد تحدثت مع عبد الحميد البواب ومتولي السباك.. وأشرف عامل الآلة الكاتبة.. وسعيد الحلاق.. وعصام النجار وجمعة الكهربائي.. ولقد أمتعوني جميعا بحكايات ونوادر عجيبة ورائعة.. مروا بها في حياتهم.. أحييهم عليها.. ولكن إلى الآن لم ينجز أي منهم عمله الذي أتى من أجله أساسا.. وعليه فقد فشل مشروعي الحديث إلى شخص آخر وأنا الآن أعلق فوق مكتبي لافتة مكتوبا عليها.. أعز أصدقائي.. هم الذين يعرفون أن الوقت قد حان لانصرافهم.. ويفعلون ذلك .

المؤلفون .. في الأرض

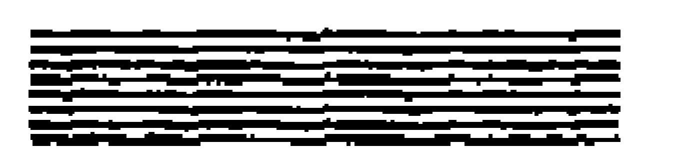
إذا سرك أن تعيش بلا نقد.. فاحرص على ألا تقول شيئا.. وألا تفعل شيئا وألا تكون شيئا.. وقد هاجمني أحدهم ذات يوم وكان متجنيا في مقال نقدي جارح.. فسألني رئيس التحرير أن ينشر لي اعتذارا في نفس المكان ونفس المجلة.. إذا أردت.. فقلت له.. إن نصف الناس الذين يقرأون المجلة لم يقع نظرهم على المقال.. ونصف الذين وقع نظرهم على المقال لم يقرأوه.. ونصف الذين قرأوه لم يفهموه.. ونصف الذين فهموه لم يصدقوه.. ونصف الذين صدقوه.. هذا هو رأيهم في البداية مني ولن يغيروه.. إن القراء نوعان.. نوع يقرأ ليذكر.. ونوع يقرأ لينسى.. ونصف الذين يذكرون.. ينسون.. إن مشكلة النقد الجارح أننا الذين نتأثر به ونذكره.. ونحكيه للآخرين ونتألم ونشكو.. ولذا افعل مثلي.. فلقد تعودت كل صباح حينما أخرج من بيتي أن أقول لنفسي.. سوف ألقى اليوم رجلا وقحا أو ناكرا للجميل أو ثرثارا.. أو حقودا وهذا شيء طبيعي فلا تلق إليه بالا.. وأنزل من البيت.. وأقابل

مثل هذه الأشكال فأتعامل معهم بكل بساطة.. وإذا لم ألتق بأحد منهم.. أقلق.. هما راحوا فين بس ؟!

وكان إينشتين يتبع في حياته الخاصة قاعدتين اثنتين.. القاعدة الأولى لا تتبع أي قاعدة.. القاعدة الثانية لا تتبع القاعدة الأولى.. ولا تحفل بآراء الآخرين فيك وكل حقيقة علمية عظيمة تمر بثلاث مراحل.. المرحلة الأولى.. قول الناس إنها مخالفة للكتب السماوية وأن هذا العالم العبقري يجب أن يهدر دمه.. المرحلة الثانية قولهم إنها كشفت من قبل وأنها مسروقة.. المرحلة الثالثة.. قولهم إنهم كانوا دائما يؤمنون بصحتها وأهميتها هذا حينما يكرم العالم الجليل في نهاية حياته طبعا.. أو بعد موته غالبا.. وعليه فالكاتب هو كائن يعيش على ثناء الناس وإطرائهم له.. وهذا هو الوقود الذي يجعله يبدع ويتألق ويستمر.. بل إن استخدام كلمة (الأدب) بكلا المعنيين له دلالة مهمة ومغزى واضح.. والفرق بين الأدب العربي والأدب الصيني مثلا.. فرق شاسع.. وقد أرسل كاتب صيني إلى جريدة مقالا لم يعجب رئيس التحرير وكان يجب أن يرد له المقال الذي لن ينشر فارسل إليه رئيس التحرير هذا الرد.. يقول فيه.. (يا أخا الشمس والقمر الكاتب المبدع هذا خادمك ساجدا تحت قدميك.. وإني لأركع بين يديك وأتوسل إليك أن تأذن لي أن أتكلم وأظل حيا.. إن مقالكم البديع قد تنازل فألقى علينا سناه الجليل وتصفحته في نشوة من الفرح وأقسم بعظام أسلافي أنني لم

أقرأ من قبل مثل هذه الآيات الزاخرة بالخاطرة السريعة والعاطفة النبيلة والفكر السامي وأني أعيده إليك جزعا.. فلو أنا نشرت هذه التحفة الأدبية لأمر إمبراطور الصين أن تتخذ مثلا يحتذى وألا ينشر شيء بعدها إلا وأن يكون في مثل روعتها وبراعتها أما وأنا أعرف الأدب حق المعرفة وأعرف أن الإتيان بمثل مقالك لن يتاح قبل عشرة آلاف سنة فإني أعيده إليك مع خدم يتولون حراسته وإني لأستميحك عذرا عشرة آلاف مرة في عدم النشر).. ثم وقع بإمضائه.. خادم خادمك.. وحفنة التراب الزائلة أخوك وانج شي.. طبعا أنا فطست على روحي من الضحك وأنا أقرأ هذا الاعتذار الصيني الفظيع.. متخيلا شعور الكاتب الذي أرسل المقال الذي لم ينشر وهو يقرأ ذلك.. لابد وأنه أغمى عليه من الفرحة والانفعال فالكاتب لا يبحث سوى عن التقدير الأدبي.. وهل هناك تقدير أروع من هذا؟! وقد تسألوني بعد أن ذكرت اسم رئيس التحرير وانج شي ما اسم الكاتب الذي كتب المقال.. وأقول لكم.. الحقيقة لا أعرف اسمه.. فقد أرسل بعد ذلك عشرات المقالات إلى الجريدة ولم تنشر وكان يتلقى اعتذارات بهذه الفخامة والروعة تثلج صدره.. ولذا فهو لم ينشر أي مقال في حياته ولم يصبح حتى كاتبا ولكنه على أي حال تلقى اعتذارات لم يحلم بها أي كاتب نشرت مقالاته.. ولكن لماذا نكتب يعني؟ إن الكاتب يظل في حجرته سجينا عاكفا على الأوراق.. يشطب ويعيد ما كتبه

ويتعذب ثم بكل نفس مسامحة يعطي المسرحية للممثلين لكي يعتلوا خشبة المسرح وينالوا التصفيق والإعجاب وكل شيء.. ولذا حينما أسدل الستار على المسرح بعد أن تم تمثيل المسرحية الكوميدية الرائعة للكاتب المسرحي الكبير جورج كوفمان.. أخذ الجمهور يهتف للممثلين ويصفق لهم وارتفع نداء الناس من مؤخرة المسرح وهم يهتفون بكل حب المؤلف.. المؤلف.. كوفمان..وأخذت أصداء الهتاف تتردد بين جنبات المسرح.. ولكنه - المؤلف - لم يكن موجودا.. ولم يصعد على خشبة المسرح لتحية الجماهير.. إلى أن وجدوه في الكواليس واقفا.. فقال له أحد الممثلين.. أين أنت يا أستاذ لماذا لم تحيي الهاتفين.. فقال له كوفمان كنت مشغولا.. فسأله الممثل.. ماذا كنت تفعل.. قال كوفمان.. كنت في مؤخرة المسرح أهتف.. المؤلف.. المؤلف.. كوفمان.. كوفمان..



كان صوتي مبحوحا

عذرا.. سامحوني.. لأن صوتي اليوم (مبحوح) فقد يزعجكم هذا وأنا أستهل مقالي.. ولكننا نحن (الكتاب) لا نسلم أيضا من الأعطال الفنية.. والبحة في الصوت مسألة قد تسعد المطربين وتزيد من معجبيهم أما فيما يختص بهؤلاء الذين لا يشتغلون بالطرب فالبحة مكروهة.. وبعضنا يعبر عن ذلك بقوله إن صوته (منبوح) وهنا يكون السوط به سرسعة خاصة أشبه بنباح كلب عوى ألقمته حجرا.. والبعض الآخر يقول.. صوتي مدبوح.. وهي من الذبح ولا تحتاج لتفسير.. وقد يتساءل سائل منكم.. ما لنا إحنا وصوتك.. إنت ناوي تقرالنا المقال؟! أما عبيط صحيح.. انت ح تعمل زي المطرب اللي طالع يغني ويبيعتذر عن رداءة خط كاتب الأغنية..؟! أقول لكم والكلام طالع بالعافية.. أنتم جميعا مخطئون.. فهناك كتابة مبحوحة وكلام منبوح ومدبوح أيضا ولا يجدي معه ينسون ولا يحزنون.. ولا سكر نبات ولا غزل البنات.. والكلام المبحوح يجب أن يحوز عطفكم ويستدر دموعكم مش تعملوني

تريأتكم.. اعملوا زي ماجلة الرومي.. الذي أسمعها واحد مدبوح مثلي حين كان يراقصها كلمات ليست كالكلمات وكان صوته مش طالع ومغشلق ومع ذلك لا تنأورت عليه ولا اشتغلته.. وإني لأعجب في الحقيقة من أعضاء البرلمان فلم أضبط واحدا منهم مرة صوته مبحوحا.. فجميع الأصوات في المجلس من النوع السوبرانو أو التينور أصوات جامدة رايقة قوي.. وسالكة وواثقة من نفسها.. ربما لأنهم أخذوا أصواتنا كلنا قبل أن يصبحوا أعضاء في البرلمان.. والشيء الأعجب في البرلمان.. حينما ينهض أحد الأعضاء فجأة ويتكلم دون أن يقول شيئا والجميع لا ينصتون إليه إطلاقا.. الأغرب بأه.. أنه بعد أن ينتهي العضو.. يدب الخلاف على الفور بين الأعضاء أما الأعجوبة الحقيقية أن هذا الخلاف ينتهي بموافقة جماعية على ذلك الذي لم يقله العضو.. وفي أحد البرلمانات طلع أحد الأعضاء وظل يخطب خطبة طويلة مملة لا يبدو عليها أنها ستنتهي.. إلى أن قال العضو.. وأنني أتوجه بكلمتي هذه للأجيال القادمة.. إلى الأحفاد الذين سيأتون من بعدنا ليكملوا المسيرة.. فهمست للجالس بجواري.. وهل سيظل يخطب حتى يأتي هؤلاء الأحفاد وحتى تأتي الأجيال القادمة؟ ولم يفهم جاري كلمة واحدة مني. ألم أقل لكم.. إن صوتي مبحوح.. وبالأمس جاءني هذا الخطاب للتوصية على تعيين شاب في وظيفة خالية.. حامله.. صبري الأرندلي.. وهو شاب ممتاز وابن الأستاذ

حسن الأرندلي العضو السابق بالحزب الوطني وحفيد الشيخ نصر الأرندلي عميد المعهد الديني وعمه محسن الأرندلي صاحب محلات الأرندلي لصناعة المعسل.. وابن أخت اللواء سليم المصري رئيس مباحث إدفو سابقا.. وهم أسرة عريقة تمتد جذورها إلى طائفة الأرندلية التي ترجع إلى الإمام السلطان برقوق.. وكان الرد الذي أرسلته مع حامله.. نشكركم على ترشيح الأخ صبري الأرندلي.. ولكني نسيت أن أعرفكم أنني أريده لوظيفة مترجم لا لتحسين النسل !!

وهذا أرسل لي ابن أخته قسم تمثيل.. وجاء الممثل الشاب وكله أمل.. فسألته حافظ إيه.. فأجاب بثقة متناهية.. دور عبد الثلام محمد في مثرحية (ثكة الثلامة) أنا حافظه ثام.. ثلاث مرات أدخل الامتحان ويثقطوني.. قلت له ليه.. فأجاب بمرارة.. وثايط بأه!! ولما اعتذرت عن التوصية.. كلمني والده غاضبا وقال.. تثقطوا الواد عشان ألدغ في الثين؟! وحاولت أن أبرر له .. أن أفهمه وجهة نظري ولكنه لم يفهم.. ألم أقل لكم.. كان صوتي مبحوحا.. في المساء ذهبت لأحضر مسرحية.. كانت المسرحية كما قالوا لي تجريبية.. وسمعتها من البعض الآخر تجريدية وقالوا إنها تحتاج لتركيز شديد.. وإذا لم أركز ممكن (تجري بيا) وحينما دخلت قاعة العرض.. كان المسرح خاليا من الديكور وكان الممثلون يمثلون مفترضين وجودهم على شاطئ البحر ومفترضين أن السماء تمطر

ومفترضين أن البرق يرعد... وكانوا مفترضين أيضا وجود متفرجين في الصالة.. كانت المسرحية من تلك النوعية التي ينجح فيها الممثلون ويفشل المتفرجون.. وألغي العرض في تلك الليلة وبعد يومين قابلت المخرج وسألته.. كيف كان الإقبال على مسرحيتك فأجاب تصور لم يدخل متفرج واحد الصالة يوم الافتتاح.. في أول ليلة عرض ولا بني آدم.. إنها كارثة.. فسألته.. وفي الليلة الثانية.. فأجاب.. عادي.. إن الإقبال يقل عادة في الليلة الثانية.. ده متوقع.. وألغى العرض في هذه الليلة أيضا وفي المساء سألتني زوجتي.. هل شاهدت المسرحية.. قلت لها.. نعم.. قالت وهل أعجبتك.. قلت لها.. لا .. فقد كان صوتي مبحوحا.

هاتوا لي.. حبيبي!

مصر الجديدة.. كما نعلم جميعا.. كان اسمها صحراء هليوبوليس والشركة الأجنبية التي عمرتها وبنت فيها العمائر الضخمة والقصور الفارهة ومدت فيها الترام.. ثم عملت فيها (لونا بارك) أو الملاهي اكتشفت بعد كل ذلك.. أنها ظلت صحراء برضه.. لم يفكر مصري في أن يسكنها ويروح يتغرب هناك فى روكسي وهو قاعد في وسط البلد مستريح أربعة وعشرين قيراطا.

وكان (الإفرنج) هم المبادرين إلى سكانها.. ثم بعد ذلك بدأ المصريون يزحفون تدريجيا إليها..

والمصريون هم أكثر شعوب العالم ابتلاء بالسكر وتصلب الشرايين.. وهذه بأه ليس للحكومة دخل فيها.. حرام.. الواحد يقول الحق.. السبب الحقيقي أن المصريين لا يحبون المشي ولا يحبون الحركة واسمعوا عبد الحليم وهو يقول بألم وغيظ.. فوق الشوك مشاني زماني.. واللي مشيته رجعت أمشيه.. وما أكذب محرم فؤاد وهو يقول.. كله ماشي.. لا يا أستاذ.. لا أحد يمشي في مصر.. كله قاعد ومرحرح وميت فل.. بل من الأشياء الطريفة أنه

إذا أتى أحدهم ليعين ابنه في مكان ويوصي عليه.. يقول للمدير.. ده ابني جاي يشتغل في المصلحة وعاوزك بأه تريحه.. وإذا أردنا أن نتعب نفسنا شوية ونعرف سبب هذا التراخي والركون إلى الراحة والدعة عندنا.. فلنفتح كتب الجغرافيا ولنفتح كتب التاريخ.

بالنسبة للجغرافيا.. فبلادنا طبيعتها الجغرافية تشجع على التنبلة فلا غابات موحشة ولا جبال شاهقة ولا برد قارس ولا حر قاتل.. وإنما أرض مستوية وتربة خصبة بتتزرع لوحدها.. ونيل يجري فيها جايبها من أولها لآخرها.. وزيادة في الدلع كمان يتفرع في نهايته لفرعين.. فلا جليد يجبرك أن تقطع الأشجار وتحولها إلى حطب تتدفأ به في الليالي القارسة.. ولا غابات سافانا متوحشة عالية.. يجب أن تحشها حتى تنمو من جديد.. هما كام نخلاية في العلالي.. يتمايلن في دلال وخلاعة.. سواء هززتها أم لم تفعل.. سيتساقط البلح الرطب.. وكل وتدعيلي.. قانون الغابة يجعل البقاء للأقوى وللأصلح أما قانون الغاغة (البركاوي) وهذه الطبيعة المعتدلة أيضا جعلت أمزجة الناس وصراعهم في الحياة.. معتدلا أيضا فالجوع الأمريكي مثلا مسألة مخيفة.. يمكن أن تموت من الجوع والبرد في الشارع ويمر بجانبك المواطنون الأمريكان وهم يتساءلون: وات إز زيس؟!! أما هنا.. فمحدش بينام من غير عشا حتى المجاذيب والدراويش يجدون ما يأكلونه في أي وقت.. بجوار

سيدي الطشطوشي.. وعندنا الأهرامات من أيام هـيرودوت وهيـه بتجيب فلوس لوحدها.. ويأتيها السواح مـن آخـر الدنيـا.. وقنـاة السويس برضه.. السفن رايحة جايـة تدفـع التذاكـر.. واهـي مـن ساعة ما اتحفرت.. لا بتاكل ولا بتشرب.. والعداد بيعد..

نقفل بأه كتب الجغرافيا ونفتح كتب التاريخ.. أولا: دأبت مصر على أن تمصر أي حد يعيش فيها.. فتفنيه فيها وفي خصالها.. فهي لم تتعلم شيئا من الشعوب التي غزتها أو استعمرتها بل هم الذيـن تعلموا منها وقلدوها وتأثروا بها.. الإسكندر حتى يتمصـر لبـس فرعوني وعمل نفسه مرنبتاح وعاش في الدور.. والقائد الفرنسي مينو أسلم وسمى نفسه عبد الله وراح قرأ الفاتحة على زبيلة وبلط في الخط عندنا.. والغناء المصري كله يعبر عـن حالـة مـن العجـز والكسل وكلها توسلات من حبيـب لآخريـن لكـي يسـاعدوه في إتمام قصة حبه.. من أول.. يا رايحين الغورية هاتوا لحبيبي هدية!! و.. بلغوه.. إلى سلمولي ع الحبايب.. إلى هـات لي قلبـك ده وأنـا أقـول له.. ويـا مـين يوصلـني لأبوهـا ولا لأخوهـا.. الكـل يبحـث عـن شخص آخر ليقوم بالمهمة.. وكأنه عـاوز حـد يحـب لـه بـل إنـني سمعت أغنية شعبية تقول كلماتها.. على أول الطريق الزراعي وأنا مسافر جابلتني.. صبية.. حلوة جوي..وجميلة جوي.. إلى هنـا الموقـف يدعو للتفاؤل.. واحـد مسـافر وقـابل بنـت جميلـة.. ولكنـه فجـأة يصرخ.. جولت والله.. ما أنا مسافر.. تخيلوا يتراجع عن قرار السفر

بهذه السرعة والرعونة لمجرد أنه شاف بنت جميلة جوي.. ويحكي أن اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني كان مدعوا إلى إحدى الحفلات في منزل أحد الأثرياء.. فلما جاء وقت الغناء.. ظهر على المسرح الالاتيه وجلسوا يصلحون الآلات وبدأ الغناء ولاحظ اللورد كرومر أن المغني لا يردد سوى عبارة واحدة ونغمة واحدة لمدة ربع ساعة.. كان الجمهور كله يترنح ويصفق وهايص ويطلب الإعادة.. فسأل الجالس بجانبه عن معنى تلك العبارة التي تلهب مشاعر الناس بهذا الشكل.. ربما تصور اللورد أنهم يشتمونه مثلا أو يشتمون الإمبراطورية.. فترجم له جاره المعنى.. وإذا بالمعنى هو.. (يا ناس هاتولي حبيبي) واندهش اللورد وفسر ذلك بأنه يمثل كسل الشرقيين واعتمادهم على غيرهم وقال: لماذا لا يهم الحبيب ويفز ويقوم على حيله ويروح يدور على حبيبه كما يحدث في كل البلاد .

نقفل بأه كتب التاريخ ونفتح كتب علم النفس.. لنجد أن الطبيعة المصرية تميل إلى الشكوى والنكد والإحساس بالاضطهاد واجترار الأحزان وإذا قابلت خمسين بني آدم في اليوم اسمع على الأقل خمسين مشكلة وإذا حاولت فقط أن تشجع صاحب المشكلة في أن يفكر أو يحاول أن يحلها يصرخ في وجهك في زهق قائلا ونا ونا ونا.. وأنا عمل إيه؟! نقفل بأه كتب علم النفس.. ونقفل الموضوع ده خااااالص..

خلافات عائلية

لأن الحكومة لفظة (مؤنثة) والشعب لفظة (مذكرة) فيجب أن يحدث بينهما ما يشبه التزاوج والتعايش كأي زوج وزوجة تمضي بهما سفينة الحياة رغم كل ما يعتورها من أمواج ودوامات.. فيا شعب لا تزهق هكذا.. هذه حكومتك برضه وانتوا مالكوش غير بعض.. ويا حكومة لا تزعلي هكذا وتفقدي أعصابك.. ده شعبك برضه ماهوش حد غريب.. وطول مانتوا مقفول عليكو باب.. اتخانقوا.. وزعقوا.. قطعوا بعض.. إنما الحياة لازم تستمر وماتنسوش برضه إن انتوا عندكوا عيال.. هوه فيه حد مستريح؟! هذا ما كنت أقوله لهما في آخر زعلة.. وصرخ الشعب في أسى: ما كل الشعوب مرتاحة اشمعنى أنا؟! قلت له يا شعب احمد ربنا.. أنت معاك حكومة لو لفيت الدنيا كلها مش حتلاقي زيها.. أنت بتاكل من المظاهر الكدابة والكلام اللي بيقولوه بره.. ده فيه شعوب شايفة الويل وبتنام من المغرب زي الفراخ. أنت شعب سهران وآمن والقهاوي شغالة أربعة وعشرين ساعة ومحدش بينام من غير عشا.. وقاطعته الحكومة وقالت لي.. هوه كله ما بيحمدش

ربنا.. والله لو عملت له إيه!! برضه معترض وناكر للجميل.. ده أنا قايداله صوابعي العشرة شمع.. اللي حتى ما سمعت منه كلمة حلوة.. وبكت الحكومة.. فتأثرت جدا لحالها وربتت على كتفها وهي تتشحتف وقالت بين دموعها: يروح يشوف الحكومات التانية اللي شعوبهم مهنيينهم!!

قلت له : عاجبك كده يا شعب.. ياللا خد حكومتك.. واقصروا الشر.. ربنا يهدي سركم.. قال الشعب.. ماشي.. أنا حارجع إنما العصمة لازم تبأه في إيدي!! هنا تغيرت ملامح الحكومة التي قطعت قلبي ببكائها منذ ثوان وكشرت عن أنيابها وقالت.. نعم يلخويا.. العصمة تبقى في إيدك هوه أنا دقة عصافير.. العصمة تبقى في إيدك وآما تحب تغيرني.. تغيرني بمزاجك مش كده؟! ما أنا عارفة الشعوب كلها كده عينها زايغة وينضب فيها رصاصة.. قال الشعب وقد نفذ صبره يا سيدي دي خاربة بيتي.. ضرائب ورسوم وتمغات.. وغلا.. والحاجة اللي تخلص في دقيقة تقعد شهر أجيب منين؟! ده أنا أصرف دم قلبي على العيل من دول لحد ما يتخرج وبعدين يقعد لي في البيت زي قرد قطع.. هنا صرخت الحكومة في وجهه قائلة.. ما أنت اللي عامل زي الأرانب نازل خلف وبعدين جاي تشتكي.. هوه انت اللي تخلف وعاوزني أنا اللي أشيل؟!

واحتدمت المناقشة وكادت أن تصل إلى شجار كبير فتجمع العيال يتفرجون.. هنا قلت لهم أرجوكم مش قدام العيال عشان ما

يطلعوش معقدين ثم قلت للشعب يا شعب انت اللـي اخترتـها من البداية وصفقت لها.. وأكيد كنت شايف فيها حاجـات حلـوة.. وانتي يا حكومة.. فاكرة أيام الخطوبة.. قصدي أيـام التعيـين يعـني.. كنتي رقيقة وطيبة وتتحطي ع الجرح يبرد.. إيه اللي حصـل بـس.. خدي شعبك وروحوا اقعدوا في حتة هادية.. بلاش مجلس الشعب والدوشة والهيصة.. اقعدوا على النيل كـده واتكلمـوا بصراحـة.. ناقشوا مشاكلكم بهدوء.. وانتي برضه يا حكومة لو لفيـتي الدنيـا كلها مش حتلاقي شعب زي ده.. طيب ومستحمل وصابر.. ياللا.. ما تشمتوش فيكو الشعوب والحكومات التانية في الأيام المفترجـة دي.. اخزوا الشيطان.. هنـا رق قلـب الحكومـة وقـالت للشـعب.. طيب تعالى.. ما تعيطـش العيـال ح أشـغلهملك.. والضرائـب ح أخفها شوية.. وابتسم الشعب ابتسامة مليئة بالأمل كطفل يصالحه أبويه.. ولكن.. فجأة.. أتت الرياح بمـا لا تشـتهي السـفن.. حيـث وقعت الكارثة الكبرى في أمريكا.. وانهار المركز التجاري العالمي.. وتحطم البنتاجون.. وصارت الدنيا كلها وكأنها واقفـة فـوق آتـون ملتهب.. وانشغلت الحكومة عـن الشـعب.. ونسـيت كـل شـيء عملا بالمثل القائل.. مصائب قوم عند قوم فوائد.. والشعب نفسه انشغل وأخـذ يحـدق في التليفزيونـات ويـدردش علـى المقـاهي.. ويطلق نكاتا عبقرية.. وكنت كلما التقيـت بـه.. بالشـعب يعـني.. أتجنب أن أثير الموضوع القديم حتى لا أوقع بينه وبين الحكومـة.. والحكاية مش ناقصة.. ما دام اتصالحوا على كده ربنا يـهني سـعيد

بسعيلة.. ودخل رمضان.. والشعب فطر مع الحكومة.. والحكومة اتسحرت مع الشعب ولكن فجأة.. انتبه الشعب.. وجاء لي غاضبا ثائرا وقال لي.. بنفاد صبر.. أنا لازم أتطلق.. يا إما ح ارفع قضية على الحكومة.. قلت له: اهدأ.. احنا في أيام مفترجة وما يصحش الكلام ده دلوقت.. استنى بس لبعد العيد يا شعب.. عشان خاطري.. اديلها فرصة تانية.. وأقنعته أخيرا أن ينتظر.. وسينتظر.. إن روعة هذا الشعب في قدرته على الانتظار.. كان الشاعر الأمريكي هنري تورو يعتقد أنه من حق كل مواطن أمريكي يختلف مع الحكومة أن ينفصل عنها.. وعام ١٨٤١ رفض تورو أن يدفع الضرائب لحكومته الأمريكية لأنها تقر تجارة الرقيق وتحارب لاستبعاد الزنوج.. فألقت به الحكومة في السجن.. وذهب الفيلسوف الأمريكي (إمرسون) لزيارة صديقه في السجن.. ووجده في حالة يرثى لها.. فسأله ماذا تفعل داخل المكان يا تورو؟ فأجابه الشاعر.. بازدراء.. وماذا تفعل أنت خارجه ؟!

وهكذا ندرك عبقرية الشعب المصري الذي لا ينفصل عن الحكومة ولا يطلقها ولا يخلعها وإنما يكتفي دائما بأن يقول لها أنا مخاصمك!! ويعود بعد كل ذلك ليدفع الضرائب ويصفق لها ويهتف لها.. ما أروع شعبنا!! عاوز يعيش !!

عبدة الشاي

طالما كنت أحذركم وأقول طريق الروشـنة آخرتـه وحشـة.. ولم تستمعوا لي.. قلت لكم نلم الشباب الروش كلـه والعيـال اللـي بديل حصان دول ونقعدهم كلهم تحـت الكوبـري وعـم مـرزوق الحلاق بالموس يستلمهم ويجيبها لهم ع الزيرو في ساعة زمـن ومـا صدقتونيش!! ظللت أهاجم هذا الجيل الروش لمدة ثلاث سـنوات ويا أخي كأن قلبي حاسس أنه ح يعمل مصيبة سودة علـى دماغـه.. كنت أرى طريقـة كلامـهم وأضـرب كفـا علـى كـف.. لايصـين.. بجحين.. مالهمش كبير.. فلقـوا دمـاغي بـــ No problem,.. Say, once وكريس دي بيرج والتــون جـون.. والبينـك فلويـد وأخـيرا يجتمعون لهذه الظاهرة الهستيرية التي يطلق عليـها عبـدة الشـيطان ويعملون احتفالية موسـيقية دينيـة جنونيـة.. لممارسـة كـل أنـواع الفجور وقال إيه.. عاملين مينيمام تشـارج.. سـتون جنيـها كشـرط أساسي للإنضمام إليهم.. ده غير حساب البـانجو.. البـانجو بيعتـبر اكسترا.. فوق الحساب يعني.. عليا النعمـــة.. العيـال دي متربيـة في فنادق مش في بيوت.. طالما أن الأب بعــد أن يغلـق عليـه حجرتـه

يضـع لافتـة عـدم الإزعـاج وطالمـا أن الأم شـغلتها في البيـت تليفونيست ولا تتوقف لحظة عن الرغي مع صاحباتها في النادي.. علطـول تعـرف الـواد والبـت فـين دلوقـت.. بيـأربعوا دم قطـط وكلاب..

أنا بحمد ربنا إنني عاصرت الزمن الذي كان عيبا فيه أن تمضغ البنت لبانة أمام حد غريب.. أو تقف في الشـباك.. أو تـنزل قصـة على قورتها ، وكان الولد لا يرفع عينه في حضرة أبيه وإنمـا ينظـر إلى الأرض في انكسار. رأيت لواء في البوليس له شنة ورنة يقـف أمام أبيه الكهل ولا يستطيع أن يشرب سيجارة.. الأدهى من ذلك أنني كنت ممنوعا من شرب القهوة والشاي لأنهما مـن المكيفـات التي يشربها الكبار.. وسمـح لي بجرعـات مخففـة مـن الشـاي علـى فترات متباعدة من ورا أبويا ولذا حينما كبرت صـرت مـن عبـدة الشاي.. ولست وحدي. ملحوظة أثارها ويليم جولدنـج الكـاتب الإنجليزي الذي زار مصر في الستينيات ليكتـب عنـها ويقـول إن المصريين يدمنون شـيئين : أم كلثـوم. والشـاي. ويالـه مـن إدمـان. الست بصوتها العبقري والشاي بمزاجه العالي حتى ولو كان شاي التموين.. أنا قابل.. بل إن نشارة الخشب تعطيه يا أخي كله مذاقـا خاصا.. وهل تقارن هذه الأيام بأيامنـا هـذه. أيـن أم كلثـوم وأيـن الشاي؟ اليـوم يسـمعون موسـيقى الـروك ويشـربون الـدم.. يـع. ياللتقزز.. كنا نقولها قديما على سبيل الدعاية والمبالغة.. تعـرف يـا

بوحميد لو ماجيتش في الميعاد ح أشرب من دمك؟ وطبعا أبو حميد لا يأخذ المسألة جد.. ولكن العيال بتوع الشيطان ما بيهزروش.. يقول تميم الشيطاني لصديقته ليس الإبليسي.. تعرفي نزار صاحبنا.. وشيطاني لأشرب من دمه.. تقول له ليس ابقى حوش لي مج (كباية صغيرة) عشان ما دوقتش نزار لسه. بس باين عليه دمه تقيل.

لا أريد أن أبحث عن الأسباب وأحلل الظاهرة.. وأبرز الدوافع التي أدت بالشباب إلى.. كلنا عارفين الأسباب.. والدوافع والمبررات.. لا أريد أن أعمل مثل المعلق الرياضي الذي يشكر رجال الأمن والجو الجميل والشمس اللي طالعة.. بإختصار نحن نعيش في خواء.. وفي البدن دمامل وأدران كثيرة.. جروح متقيحة يجب أن ندوس عليها ليطلع الصديد.. سنتألم ونحن نضغط عليها ولكن بلا شك بعدها سنستريح.. وبعد أن تلموا هؤلاء الأولاد المتطرفين فكريا وتدوهم علقة متينة وتمدوهم على رجليهم.. أرجوكم.. مدوا آباءهم وأمهاتهم على رجليهم هما روخرين.. نفسي أشوف أمهات وآباء بينضربوا.. هل تعلمون لماذا؟.. لأنهم لم يمنعوا عن أبنائهم الشاي وهم أطفال صغار.. لو كانوا حرموه عليهم لقدموا للمجتمع أبناء زي الفل.. صحة وشباب وأمل ونشاط متجدد.. ولكن.. الطفل الذي لم يتعد السابعة ويخطف السيجارة من فم أمه في دلع مرق.. ويشربها والأم التي تضحك

من خفة دم ابنها الغتيت.. والأب الذي يقول في ألاطة عبيطة أنـا عاوز ابني يطلع مدردح.. ما أحرموش من حاجة.. هذه الأسرة.. هذا الأب هذه الأم.. هم النواة الأساسـية والمصنع الرئيسـي لتفريـخ عبدة الشيطان ولهذا أناشد كل أب يعمل الآن خارج مصر وعمال يحط الدينار ع الدينار وسـايب ابـن أو ابنـة في سـن المراهقـة أن يأخذ أول طيـارة وع البيـت علطـول.. الفلـوس لـن تسـتطيع أن تداوي ما سينكسر.. أيها الأب المسافر عد إلى بيتـك.. الـدواء فيـه سم قاتل الدواء فيه سم قاتل.. عد إلى بيتك.. وامنـع ابنتـك مـن ارتداء الملابس الغريبـة الأطـوار.. معرفـش جلـد ازاي.. وأسـاور وكباسين.. وروج غامق أسود.. وحواجب تخينة.. إنتـو إيـه.. رايحـين تحاربوا.. وانزع فردة الحلق من أذن الشملول ابنك وجز له شـعره بالمقص.. وخد منه الموبايل.. بلا قلة حيا..

من الآن فصاعدا.. أنا وانتو والزمن طويل.

يا ليلة ما جالي الوالي ودق عليا الباب!!

طرق شديد على الباب.. وصوت رجل عجوز يهتف في استياء: افتح يا أفندي. افتح.. فتحت الباب في رهبة لأجده أمامي.. رجل في نحو السبعين من عمره لـه لحيـة بيضـاء طويلـة.. وعينـان رهيبتـان تندلع منهما ألسـنة اللـهب.. دخـل بـلا اسـتئذان وأزاحـني مـن طريقه.. وقال.. نائم أنت يا أفندي ولا على بـالك.. استيقظ مـن غفوتك.. أفق.. الرجل كـأنني أعرفـه.. قـال لي مـا لـك تحملـق في وجهي هكذا.. تشمم الحجرة بأنف خبـيرة وقـال لي الفحـم لسـه والع.. اعمل لي حجر معسل.. سأجلس على هذا المقعد.. وجلـس على السرير.. قلت له هذا ليـس مقعـدا.. هـذا سـرير.. نظـر إلى سريري بلحتقار وقال أتنام هنا.. أنتم أيامكم سـودا.. ثـم نظـر إلى جهاز التليفزيون الذي في حجرتـي وقـال أتخبئـون مجوهراتكـم في صندوق من الزجاج.. ما هذه الخيابة.. يستطيع اللص أن يـأخذ مـا به بسهولة.. قلت له يافندم هذا ليس صندوق مجوهرات ولكن قل لي.. من أنت.. أمسك بكتفي بيـده القويـة فكـاد يخلعـها في يـده..

وصرخ قائلا أنا الباشا.. الوالي يا أفندي.. وبربشت بعيـــني.. محمـد علي باشا.. ولكن ما الذي فكره بنا.. قلت له في رعب ومن الذي لا يعرفك يا باشا.. ولكن دعني أرص لـك الحجـر.. ناولتـه اللـي وجلست تحت قدميه أوضب له الحجر.. أخذ نفسا عميقا فشعرت أن دماغه اتعدلت.. وقـال لي بلهجـة آمـرة.. طبعـا تعـرف القـراءة والكتابة قلت له هي صناعتي يا سعادة الباشا.. قال ما تكــترش في الكلام.. الإجابة علـــى قـد السـؤال.. حبـس دمـي ابـن اللذينـة.. أحضرت الورقـة والقلـم وجلسـت في أدب قـال اكتـب لي أسمـاء هؤلاء الأولاد والبنات الذين يعبدون الشـيطان.. وضعـت القلـم على الورقة وقلت لنفسي الليلة شكلها مش فايتة.. قلـــت لـه يـا باشا.. لا أعرف أحدا.. قال بانزعاج.. ألا توجد إحصائية ألا توجـد ليستة!! قلت له.. ونفرض أن هناك إحصائية مـاذا ستفعل.. قـال.. سآخذهم جميعا إلى القلعة.. وطلت من عينيه نظرة خبيثـة مرعبـة.. حاولت أن أغير الموضــوع.. قلـت لـه.. شـوف أديـك نسـيتني.. لا عملت لك حاجة ولا شربت حاجة.. تشـرب إيـه يـا باشـا.. قـال.. كباية ميه بماء الورد، أحضرت له زجاجة ميـاه معدنيـة.. أنـا عارفـه أنف وقراف.. نظر إلى الزجاجة وقال.. هذه مياه قلت لـــه.. اشـرب بس وح تدعيلي.. وضع الزجاجة على فمه ثم انزلها بسرعة.. وقال طعمها غريب ليس لها طعم.. قلت له دي بـاتنين جنيـه.. اندهـش الباشا وقال.. أتباع المياه يا أفنـدي هـل تظنـني سـائحا.. لم أسـتطع

الرد.. مرت لحظة صمت كان الباشا فيها شاردا ثم سألني هل هذه مصر أم أنني أخطأت العنوان.. ثم عاد وسأل في حزن ما الذي أوصل الشباب إلى ما وصلوا إليه؟! قلت له في يأس: الظروف بقي.. قال بحزم.. لا.. ليست الظروف.. وإنما انعدام الفرمانات.. لو كانت هناك فرمانات لما حدث لكم ما حدث.. لقد أرسلت بعثات تعليمية إلى باريس ليتلقوا العلم.. ولكن هل تركتهم.. كنت أرزعهم الفرمان بعد الآخر.. ثم أخرج من سرواله ورقة كبيرة وقال.. اقرأ.. سمعني..كان فرمانا أرسله للطلبة الذين يدرسون في باريس يقول فيه.. قدوة الأماثل الكرام (الأفندية) المقيمين في باريس لتحصيل العلوم والفنون.. ينهي إليكم أنه قد وصلنا أخباركم الشهيرة والجداول المكتوب فيها مدة تحصيلكم ولم أفهم شيئا مما حصلتموه في شغلكم ثلاثة أشهر وقياسا على قلة شغلكم في هذه المدة عرفنا عدم غيرتكم وتحصيلكم وهذا الأمر غمنا غما كثيرا فيا أفندية ما هو مأمولنا منكم.. وبناء على ذلك أنكم غفلتم عن اغتنام الفرصة وتركتم أنفسكم للسفاهة.. ولم تتفكروا في المشقة والعذاب الذي يحصل لكم من ذلك.. فإذا أردتم أن تكتسبوا رضانا فكل واحد منكم لا يفوت دقيقة واحدة من غير تحصيل العلوم والفنون.. وضعت الفرمان على السرير وتأملت الرجل الجالس يشد الشيشة الذي قال لي.. ما رأيك؟ قلت وهل لي رأي بعد سعادة الباشا.. فأومأ برأسه وقال.. طبعا

رأيك ليس مهما.. لكن تكلم.. حبس دمي مرة ثانية الباشا.. قلت له لكن أسمح لي.. لغتك ركيكة.. لا هي فصحى ولا هي عامية.. بصراحة بقى.. ما أنا كانت مرارتي اتفقعت.. أجاب.. أنا لا أكتب شعرا يا أفندي.. هل وصلتك الرسالة.. انتهى.. غير لي الحجر بقى.. وضعت نارا جديدة على الحجر وسألته وماذا كانت نتيجة فرمانك.. ابتسم في سعادة وقال.. بدأت أحترمك.. شوف يا أفندي بعد أن عاد أعضاء البعثة الأولى.. استقبلتهم بديواني بالقلعة أحسن استقبال.. ثم انفجر في الضحك.. فوقف الدخان في زوره وأخذ يكح.. حاولت أن أناوله كوب ماء لكنه أزاحه بيده.. وبعد أن راحت الكحة اللعينة.. قلت له علام تضحك يا باشا.. قال.. جاء الأفندية من باريس وعملنا لهم احتفال.. وبعد أن انفض السامر.. جاءوا ليسلموا عليا ليذهبوا إلى أهاليهم.. ولكنني كنت قد أصدرت فرمانا بألا يذهبوا إلى بيوتهم قبل أن يترجم كل منهم كتابا في العلم الذي درسه في باريس ولم يغادروا القلعة إلا بعد أن كان في يدي سبعون كتابا في مختلف العلوم وطبعتها في المطبعة الأميرية في بولاق.. قلت لنفسي آه يا باشا يا صايع ولكن الباشا اغتم فجأة.. وقال لي.. ثم تصل بهم السفالة أن يعبدوا الشيطان؟! وأنت ما دورك.. ماذا فعلت يا أفندي؟! قلت لنفسي ده ح يقلب عليا أنا.. وتشجعت وقلت له.. أنا كتبت في هذا الموضوع. قاطعني وقال قرأت مقالك.. (عبدة الشاي) أليس كذلك.. ابتسمت في

سعادة وقلت له ما رأيك قال زي الزفـت!! يـا حبسـة الـدم اللـي عاملها لي على طول يا باشا.. لماذا.. قـال تريـد سـيادتك أن ترجـع المشـكلة إلى الأب والأم والجـذور.. ألم تكتـب ذلـك.. هـل تريـد سيادتك أن نفرج عن القاتل لأن ظروفه جعلتـه يقتـل.. والسـارق الذي نهب البلد لأنه لم يترب تربية كويسة!! هذا فكـر أحـول يـا أفندي أنت تعمل مثل الأحول الذي مات أبوه فأخذ يبكـي علـى أمه.. إعدل عينيك قبل أن تكتب يا بني.. أنت باصص فين.. بـص لي هنا.. قلت له أنا ليس لي سلطة إصدار فرمـان مثلـك.. ولا أب يستطيع أن يصدر فرمانا على ابنه.. نحن نتحاور.. نتناقش وعندنـا برامـج دلوقـت اسمـها Talk show جلسـات نتشـاور فيـها أمـام الجميع.. ونحلل مشكلاتنا.. أيامك غير أيامنـا وزمنـك غـير زمننـا.. بعد سنتين تلاتة سنصبح سـبعين مليونـا يـا باشـا.. هـذا الكيـان الخرافي الهائل الضخم لا يمكن أن يتغير بفرمان.. هنا استاء الباشا وألقى بلى الشيشة في قرف.. قلت له : أغير الحجر؟.. فأجـاب لأ.. غير نفسك!!

آل أيه ؟! ح نذيع

مثل طبق الفول.. صارت الكاميرا الخفية طبقا رئيسيا على المائدة الإعلامية فى كل القنوات وكل الأوقات.. بل وفى القناة الواحدة عدة مرات.. وكلهم فى البداية يثورون وينفعلون ويضربون بالأيدى وبالشلاليت.. ثم يحدث تثبيت للصورة.. (Fix) وينزل إعلان.. ثم بعد ذلك تجدهم سعداء مبتسمين موافقين على أن تذاع الفقرة لرفع المعاناة عن الشعب المصرى وكما فعلت تايوان بالمنتجات اليابانية فعلنا نحن بالكاميرا الخفية.. فلم تعد خفيةولا زبائنها أبرياء ولم يعد الأمر يخفى على أحد سوانا نحن ضحايا الكاميرا الخفية من المشاهدين .

وإذا كنا هذا العام شاهدنا الكاميرا الخفية مع ممثلين ولاعبى كرة ومواطنين عاديين وإذا كانوا كلهم (شربوها) أو (مثلوا علينا أنهم شربوها) فإننى اقترح فكرة كاميرا خفية للعام القادم مع الوزراء والمسئولين.. يذهب بهلول أو لسان العصفور إلى السيد الوزير لإجراء لقاء معه.. ثم يأتى للوزير خطاب مغلق.. يفتحه فيجده خبر الإقالة من منصبه.. وبعد أن نرى رد فعل الوزير.. يخلع

بهلول أو لسان العصفور الباروكة ويعطيها له ويقول لـه.. سيادة الوزير احنا صورنا لو عاوزنا نذيع .. نذيع ..

ولكن لماذا يجب المواطن أن يشاهد الكاميرا الخفية؟.. هل لأنـه زهق من كـم التمثيـل والافتعـال الـذى يشـاهده حيثمـا توضـع الكاميرا أمام فنان أو مسئول ويبدأ فى الحديـث سـواء فـى حـوار تليفزيونى أو حتى فى عمل فنى؟! هل لأننا نعيش - حقا - زمـن الكاميرا الخفية؟

عندك مثلا.. حينما وجد أحدهم تسعة رؤوس حمير فـى مقلـب زبالة.. وحدث الهلع والذعر بين الناس.. وصار السؤال اللغز.. من الذى أكل الحمير؟ والذى أكلها ليس متـهما بـالطبع وإنمـا مجنـى عليه وبدأ كل منا يتشكك فى كبـاب امبـارح وكفتـة أول امبـارح وكان يجب أن تنتهى الحلقة.. فالمقلب هنا عالى قوى.. مقلب زبالة!!

وكان يجب أن يربت أحدهم على كتف الآخر ويقول.. مالك ما تخافش قوى كده.. بص هنـاك أهـى الكامـيرا بتصـورك.. دى حمـير بتاكلها الأسود فى جنينة الحيوانات.. فيضحك المواطن ويرفس في الأرض من الضحك.. وتسأله الحكومة.. احنا صورنـا الكـلام ده.. نذيع واللا لأ.. فيبتسم المواطن.. ذيع يـا عـم خلـى النـاس تـاكل وتنبسط .

وحلقة أخرى كانت رائعة حقا .. عدد من نواب مجلس الشعب هربانين من التجنيد.. وتقـف عربيـة البوليـس وتلمـهم امسـك

النائب اللى بيجري هناك ده.. وريني شهادة الجيش يابني أنت وهوه.. كل ده والمشاهدون واقعين من الضحك كان الموضوع بجد فعلا.. وفى وسط الهلولة دى.. نثبت الصورة.. وبعدين نرجع نقوللهم احنا صورنا يا جماعة نذيع واللا ما نذيعش؟.. ويخجل النواب.. ويقولوا.. ذيع يا عم.. ذيع ع البركة.. واللا بأه الحلقة بتاعة الرئيس بوش لما دخل العراق.. ودمرها بالصواريخ والقنابل عشان فيها أسلحة دمار شامل.. والناس فى العراق (اتخطفت) وخدوا الموضوع بجد ودخلت عليهم اللعبة.. وابتدوا يقولوا.. وحياة النعمة الشريفة يا باشا لا فيه أسلحة دمار شامل ولا ايتها حاجة.. راح رامسفيلد ضاحك وقايل لهم بصوا هناك دى الكاميرا الخفية!! احنا دمرنا بغداد وصورنا كل حاجة لو عاوزينا نذيع.. ح نذيع.. لو معترضين مش ح نذيع.. لأ ذيع يا باشا.. اتكل على الله.

وشارون راخر عمل حلقة عالية موت.. فكرة روشة طحن .. بنى له حيطة فى وسط بيوت الفلسطينيين.. يخرب بيت شيطانه.. فكرة تفطس من الضحك.. ييجى الفلسطينى من دول راجع من الشغل علشان يدخل بيته يلاقى جدار.. واتفرجوا بأه.. على الفلسطينيين وهما بيزعقوا.. واللى بيجري هنا.. واللى بيحدف بالطوب.. مسخرة.. آه.. قلبى ح يقف م الضحك.. وفى الآخر.. احنا صورنا.. تحبوا نذيع واللا ما نذيعش.. نذيع طبعا.. أعزائي.. الأصل فى الكاميرا الخفية.. هو أن يمثل أحدهم على آخر.. بشرط

ألا يمثل هـذا الآخـر هـو أيضـا.. والـلا يعـرف أن هنـاك كامـيرا تصوره.. أما أن يمثل الجميع علينا ونحن جالسون فى بيوتنا نتفرج.. معنى ذلك أن الكاميرا الخفيـة تصورنـا نحـن.. ممـا جعلنـى أشـعر شعورا خفيا هذه الأيام بأن هناك كاميرا ما تراقبنى مـن بعيـد وأن كل مـن حـولي يمارسـون معـي لعبـة الكامـيرا الخفيـة.. وأن كـل المصائب التى تنزل على رؤوسنا مجرد لعبة.. فـلا الـدولار ارتفـع ولا النادى الأهلى وقع.. ولا العمة نـور جـاءت مـن أمريكـا.. ولا تصريحات الرئيـس بـوش الأخيرة .. حقيقـة واقعـة.. وكـل هـذه الأشياء ما هى إلا محاولات للضغـط والاسـتفزاز علـى شـخصي البريء الذي وقع فـى أيـدي ممثلـي الكامـيرا الخفيـة حتـى يفقـد أعصابه.. ويعمل له حركتين لطاف أمام الكاميرا يضحك عليـهما الجمهور ثم يسارع الجميع لاحتوائه قـائلين.. اسـتنى بـس.. احنـا صورنا اللى حصل.. لو تحب تذيع.. قول نذيع.. وربما أنـا الوحيـد الذي سأخالف ظنهم وأخيب أملهم وسأقول.. لأ.. ما تذيعش..

عزيزى الأستاذ المشرف على ملحق أيامنا الحلوة تسمح لي أقلع الباروكة؟! يا ترى عرفتنى؟! أنا أبأه مين؟! لسه برضه؟! أطلـع لـك البطاقة؟! عموما أنا كتبت المقال خـلاص.. لـو عـاوز تنشـره قـول انشر.. ولو مش عاوز تنشر.. قول ما تنشرش.

قسمة ونصيب

يتضمن تدريب رواد الفضاء في أمريكا رفعهم فى الهواء ثم القاءهم فى مياه مضطربة شديدة البرودة بعدها يركضون فوق حفرة فى الأرض تندلع منها ألسنة اللهب كأنها فوهة بركان وهو شيء يماثل تقريبا قصة حياة المواطن المصري العادى.. تقلبات مهولة فى كل شيء.. تغييرات رهيبة في الأسعار والأحداث والمواقف.. شيء واحد هو الذى لا يتغير أبدا فى المشهد.. هو الحكومة طبعا!! بل إن الطبيعة نفسها تفاجئنا بالتغيير المفاجئ يوم حر نار فى عز الشتاء.. ويوم برد قارس فى عز الصيف.. والدنيا بتمطر والشمس طالعة ومحدش فاهم أى حاجة.. ولذا خد بالك وخللى معاك جاكيت احتياطى أحسن تمطر.. وخللى معاك برضه تي شيرت أو فانلة كت.. أحسن تحرر.. ولقد قابلت صديقا قديما لى لم أره منذ عشر سنوات قال لى لائما.. عشر سنين يا أخى ما تزورنيش ولا مرة؟ ولا تفكر حتى تيجى تشوفنى؟ قلت له وأنا

أنظر للسماء مش شايف الجو عامل ازاى؟ اجيلك ازاى فى الجو ده!!

وأنا لا أنادى بالتغيير من أجل التغيير وإنما أفضل أن تكون هناك قاعدة ثابتة للتغيير.. فى بريطانيا مثلا.. فى بلدة اسمها.. (هاى وايكومب) عندما ينتخب عملة جديد.. يجرى وزن كل أعضاء المجلس البلدى أمام الجمهور.. وذلك وفقا لعادة قديمة.. ويصفق الجمهور لكل عضو تبين أن وزنه أقل أو لم يزد عما كان عليه يوم تولى منصبه.. وهذا دليل انهم لم يسمنوا أو يربربوا على حساب الأموال العامة للبلدة.. وبالتالى تكون القاعدة اللى وزنه اتغير.. يتغير.. واللى وزنه ما اتغيرش.. ما يتغيرش، واللى مش عاجبه بأه.. يوزن بره!!

الغريب أن البعض يريد أن يعتبر فشل الحكومة فى أمر ما.. ذريعة للتغيير وهذا خطأ كبير فحياة الإنسان لا تصبح مهمة إلا حينما يفشل فهذه علامة على أنه حاول أن يتفوق على نفسه فأى حكومة فى الدنيا دون أدنى شك تريد أن تنجح وتسعى لذلك.. فهل عرفتم من قبل زوجة تريد أن تخرب على روحها.. والسياسة كالزواج.. فى النهاية قسمة ونصيب والحياة الزوجية.. أو السياسية مشحونة دائما بالتقلبات والخناقات والألاعيب الجهنمية وبين كل

الأزواج الذين عرفتهم لم أجد زوجا لا يشكو من زوجته وبين كل الشعوب التى عرفتها لم أجد شعبا راضيا قانعا بقسمته ونصيبه .

كان جدى يشكو من جدتى.. ورمسيس الثانى يشكو من نفرتاري.. وإخناتون كان يشكو من نفرتيتي.. وكلينتون كان يشكو من هيلاري. وكل يوم أسمع عم برعى البواب وهو يمسح السلم ويقول.. ريحنى بأه يارب من أم قويق.. إلا زوج واحد كان سعيدا فى زواجه سعادة مريبة.. ولقد سألته عن سر هذا التوفيق في الزواج فأجاب الحكاية بسيطة خالص.. اتفقنا.. فى الصباح مراتى تعمل اللى هيه عاوزاه.. وبلليل بأه.. أننا أعمل.. اللى هيه عاوزاه برضه .

وقد اجتمع مجلس الوزراء فى دولة ما.. نامية.. (رفضت ذكر اسمها) لكى يحاولوا أن يجدوا علاجا لمشاكلها الاقتصادية وميزانيتها المنهارة.. لنقل مثلا أنها الدولة يعني في أمريكا اللاتينية حتى تستطيع أن نكمل الحكاية) وحينما تحير المجلس في إيجاد أي حل.. وقف أحد الوزراء فجأة وقال.. لقد توصلت إلى حل حاسم ومضمون.. لا حل سوى أن نعلن الحرب على أمريكا.. فصاح رئيس الوزراء.. سآمر بإعدامك فورا أنت تريد أن تدمر البلاد وتجرنا إلى حرب لا قبل لنا بها.. قال الوزير.. يا سيدى.. أنت لم تفهم ما أعنى.. انظر إلى الدول التى حاربت أمريكا.. وانهزمت

ألمانيا مثلا ألم يدمرها الأمريكان.. ما حالها اليوم.. عمل كثير وتقدم وتكنولوجيا ورفاهية وإيطاليا حاربت أمريكا وانهزمت هزيمة نكراء والآن صارت لديها صناعة متقدمة وسياحة وثروة اقتصادية، واليابان، ألم تدمرها أمريكا بالقنابل الذرية؟! أين هي الآن؟ أسواق رائجة واقتصاد عظيم.. وساد الهرج والمرج بين الوزراء.. وبدأ وا يتحمسون للفكرة فعلا ورفعوا أيديهم جميعا موافقة.. قال رئيس الوزراء حسنا لنكتب الآن صيغة إعلان الحرب.. غير أن وزيرا آخر كان صامتا طول المناقشة وكان الوحيد الذي لم يرفع يده.. قال.. ثانية واحدة.. وماذا يحدث لو انتصرنا على أمريكا ؟!

الشاطرة.. تخبز

لا أجد مبررا لهذه العلاقة العكسية بين أن يتقدم بي الزمن وتزيد سنوات عمري وبين أن يقل قطر رغيف العيش وحجمه ومساحته بهذه الصورة وإنى أسجل هنا للتاريخ وللأجيال الجديدة اننى (حضرت) رغيف عيش كان قطره ٣٠ سم يمكن تقسيمه بسهولة أربعة أرباع محترمة يصلح كل منها لكى يحتضن بسهولة قرصين طعمية كاملين بالسلطات .

أما أن يصبح رغيف العيش في حجم القطايفاية فهى دعوة خبيثة لتحميره فى السمن وحشوه بأى حاجة لتحويله إلى نوع من أنواع الحلوى.. ولا أستبعد أن تلتف الأسرة حول رغيف العيش فى عيد ميلاد المحروس ابنهم.. عشان يطفوا العيش ..

ولم تكن المشكلة فى أى حقبة من حقب التاريخ المتوالية مشكلة عيش وإنما كانت مشكلة غموس.. ويقول ابن بطوطة.. أن براميل العسل كانت فى كل مكان.. كأسبلة المياه يأخذ الفقير

رغيف العيش الساخن من الفرن - بلا مقابل - ويلقى به في برميل العسل.. ويتعشى وكان الفقير أيامها.. ابن محظوظة !!

وهذا الانكماش الذى حدث للرغيف من شأنه أن يجعلنا نلتفت للتجربة الإيطالية الرائدة في صناعة البيتزا.. ويصبح الرغيف بالطلب.. رغيف سمول.. ورغيف ميديوم.. ورغيف لارج ويجب علينا بأه.. أن نرشد استهلاكنا من العيش وأن نتوقف عن هذا السفه والتبذير فى التعامل مع الرغيف.. فهذا يعمل اللقمة (ودن قطة) وينزل بها إلى طبق الطبيخ لكي يلمسه فقط ويصعد بها إلى فمه قبل أن تنال من الطبيخ أكثر من المسموح لها به.. وهذا يعمل اللقمة مركبا شراعيا ويعوم بها فتتهادى على سطح الطبيخ.. وهذا يعمل فتة فتراه وهو يقطع العيش كأنه يفرق كوتشينة ويلقى بها فى الشوربة وعليها الأرز.. خلاص لنقف وقفة مع أنفسنا.. ولنفكر جيدا قبل أن تمتد أيدينا نحو رغيف العيش.. وماذا سيضيرك يعني لو شربت الملوخية شربا أو عملت الفتة بدون أن تفت العيش أو الأرز أو حتى بدون لحم من أصله وعليه فأنا اقترح إلغاء هذا التعبير العامي الذي نستخدمه حينما نود أن نقول يعني أننا نعمل أو نشتغل.. فنقول.. أكل العيش.. ولنبحث عن مفردات جديدة تعبر عن المعنى.. دون الإغراق في الخيال والمبالغة..

ومع ذلك لا تزال حكومتنا تدعم الرغيف.. وقديما كان الدولار يجيب له بتاع عشرين رغيف .

اليوم صار الدولار يجيب له بتاع ١٤٠ رغيف.. مما جعل بعضهم يحول فلوسه كلها عيش ويهرب به خارج البلاد.. البعض قال إنه متعثر.. والبعض الآخر قال إنه.. متعجن.. أو متحجر.. وقد أكد بعضهم إن فكرة الرغيف هي فكرة فاشلة من أساسه.. وقد عملت إحدى شركات المياه زجاجة مياه صغيرة جدا.. أطلقوا عليها (بوء مية) وهى تناسب مواطنا تائها في الصحراء أكثر مما تناسب مواطنا يعيش في بلد يمر فيه نهر النيل من أوله لآخره.

وإنى أقترح على الأفران فكرة جديدة.. وهى أن ينتج الخبز باللقمة وليس بالرغيف ولنسرع بهذا قبل أن تقوم الحكومة بتعويم الرغيف فيقفز سعره فجأة إلى خمسة جنيه.. وليكن شعار المشروع لقمة لكل مواطن.. ربما إن لقمة هنية تكفي مية.. فيمكن تقسيم اللقمة أيضا إلى مائة وحدة توزع فى عبوات مثل الكاندريل والسكرين.. تضغط عليها ضغطة واحدة فتنزل حباية العيش فوق طبق الفول.. ونبأة اتعشينا وبارك الله فيما رزق ..

ويتساءل البعض أين القمح المصري هذا الذي كانت مصر تفاخر به الدنيا كلها.. والذي كانت الامبراطورية الرومانية تعتمد عليه اعتمادا أساسيا حينما كانت مصر هى مخزن الغلال الذي يأكل من خيره كل الشعوب القديمة.. بل إن أغانى الفلاحين كلها

كانت تغنى للقمح.. القمح الليلة ليلة عيله يارب تبارك وتزيـده.. والآن اختفت أغانى الحصاد وحلت محلـها أغـانى نانسـى عجـرم وأليسا بعد انتشار زراعـة الكانتـالوب وخيـار الصوبـة.. وأنـا لا أعترض علـى الكانتـالوب بصفـة شـخصية فليس بينى وبـين الكانتالوب أي ضغينة.. فقط أنا أفكر بصوت عالى.. هل يمكن أن يفكر علماؤنا فى أن يصنعوا خبزا من الكنتالوب طالما أنه متوافر بهذه الصورة.. أرجوكم لا تسخروا من أفكارى.. فقد فعلنا ذلـك.. فمن كـان يصـدق أن يشـرب المواطـن شيشـة تفاحـة.. أو شيشـة كانتالوب لو فكـر أحدهـم فـى ذلـك فـى القـرن المـاضى لاتـهم بالجنون.. لندرس الفكرة بهدوء ودون عصبيـة.. عيـش كانتـالوب نعم.. أنا أعنى جيدا ما أقوله.. لقد قام أحدهم بقلي قشر البطيـخ فى الزيت وباعه على أنه سمك فيليه وأكلـه النـاس.. وإذ يعنـى لم يعجبكم الكانتالوب.. فكـروا فـى المـوز.. ألم تلاحظـوا أنـه صـار طعمه ومذاقه بالضبط مثل لبابة العيش.. لنفكر فـى المـوز أنـهم يفعلون ذلك فى بلاد إفريقيـا.. عيـش مـوز.. المـهم ألا نيـأس.. أن نبحث عن حلول وقديما قالوا.. إن الشاطرة تخـبز برجـل حمـار.. آه والله.. رجل حمار.. فكروا فى الموضوع .

خللى عليوة.. يضمنى..

أجمل إحساس فى الكون.. (مع الاعتذار لأليسا).. هو أن أكـون أنـا (الموديـل) الـذى صـور معـها هـذه الأغنيـة .. (مـع الاعتـذار للموديل) فهذا الشاب المحظوظ.. مقضيها بـوس وأحضـان وأكـل فشار وفرجة على الكارتون.. ثم بعد ذلك هى برضه التـى تـأخذ له ذقنه.. وتعمل له عصير البرتقال وبعد كل ذلـك يقبـض أجـره عن ذلك.. تخيلوا هو الذى يقبض؟ ثمن عرقه فى الكليب..

وقد قـالوا قديمـا إن الفـن معانـاة.. ولكنـه لا يعـانى ولا هـى تعانى.. أنا فقط الذى أعانى.. ولقد فهمت أخـيرا تلـك المقولـة.. بأن الفن معاناة.. للجمهور طبعًا..

وكان اكتشاف الأصوات يعتمـد علـى آذان موسـيقية مرهفـة.. تحلل الصوت وتقييمه وتسـتخدم تعبـيرات اندثـرت الآن.. مثـل الجواب والقرار والعرب والتريللات والمحسنات.. وكانت اللجنـة التي تجيز الأصوات أصعب من لجنة واقفة علـى كوبـرى إمبابـة.. وكـانت قـوة الصـوت هـى المحـك والمقيـاس الوحيـد لنجاحـه واسـتمراره.. وقـال أحـد الآلاتيـة لزميلـه فـى الفرقـة أنـت مـا

حضرتش أبويا.. ده كان يقول يا ليل الساعة عشرة بلليل.. ما يخلصهاش غير لما النهار يطلع.. فرد عليه زميله.. ما أنا أبويا اللى كان ييجى الصبح يستلمها منه.. وما يخلصهاش إلا فى نص الليل وبالتالى فكان اكتشاف المطربة فى القرن الماضى.. كشف حنجرة.. وأحبال صوتية.. وأذن موسيقية يعنى أنف وأذن وحنجرة..

أما ما نشاهده اليوم من مطربات في الفيديو كليب فيؤكد ان اكتشاف المطربة صار تخصص باطنى.. فالبطن صارت من السمات المميزة للحكم على المطربة.. لا يهم الكلام فالمعنى لم يعد فى بطن الشاعر وإنما فى بطن المطربة.. ولا يهم اللحن.. ولا الصوت أيضا. أهم شيء البطن.. ولنتوقف هنا قليلا عند ظاهرة كشف البطون - وانى لأشعر أنكم يسعدكم أن نتوقف هنا - فساعة البطون تتوه العقول!! واسمحوا لى أن أتساءل.. لا يختلف اثنان على أن مواطن الجمال عند المرأة أو مفاتنها كل ما كان له طبيعة مزدوجة.. لنقل مثلا العينان.. الخدان.. الشفتان.. ولنكتفى بهذا القدر معتمدا على خيالكم فى استكمال العبارة مع تغيير ما يلزم.. ولكن ما الجميل فى إظهار البطن أو المعدة.. فالجمال لا يكتمل إلا إذا ارتبط بوظيفة أو معنى.. فالعينان مثلا تعبران عن الحب والشوق والخدان يحمران خجلا - أو كان ذلك يحدث قديما - والشفتان تنطقان بأحلى الكلام - أما البطن أو المعدة يعنى فهى بيت الداء.. وهى لا تحوي معانى ومشاعر بقدر ما تحوي واحد فتة بالكوارع أو طبق ممبار .. وتركيز الكاميرا على بطن

المطربة وهى تغنــى يشعرنى أنــها لا تعمــل أغنيــة وإنما تعمــل ســو نار.

والطريف أنه إذا كان المطرب رجلا.. لا بــد وأن تظـهر بجـواره بنات عاريات البطون حيث اتفــق الفقــهاء مــن مخرجــى الفيديــو كليب على أن بطن المطرب عورة.. بينما بطـن المطربـة ثـورة فـى عالم الفن.. ولقد سمعت الشاعر الراحل العظيم أحمد رامى يصف فى حديث إذاعى.. كيف كان يسمع أم كلثوم وهــي تغـني.. يقـول رامى.. كنت أجلـس علـى الكرسـي.. مرجعـا رأسـي إلى الـوراء.. مغمضا عينيى تماما.. هائما مع صوتها الملائكى.. طائرا فى الفضاء سابحا فى الهواء.. فى عوالم لا نهائية من المتعة والسلطنة.. فلم أكن أسمح لعينى بأن تشوش على أذنى أو تفيق حواسي الـتي أعطيتـها كلها للست.. فأصبح وأنا أستمع كأننى على أعلى قمة جبـل فـى هذا الكون.. وقد فعلت ذلــك أنـا شـخصيا.. مـع نانسـي عجـرم وهيفاء وهبى وأليسا.. وإلين خلف.. أغمضــت عيــني.. و.. لقيتنـى واقع فى حفرة ومش عارف أطلع وبقيت فى أسفل السافلين، وقد سألنى أحدهم وهو فى قمة الاندهاش.. إذا كـانت روبـى.. ماشـية فى الشارع ببدلة رقص.. أمال بتقعد فــى البيــت بإيــه.. قلــت لــه أعتقد يا عزيزيى إنها ما بتقعدش فى البيت !!

أما الشيء العجيب حقا.. هي تلك المغنية الجديدة التي ظـهرت لأول مرة بأغنية قديمة.. ناجحة جدا.. غنتها ليلى نظمي منــذ أكـثر من ثلاثين سنة.. أمه نعيمة.. نعمين خلي عليوة يكلمــني.. وكنـت

أسمع هذه الأغنية من ليلى نظمي.. وأغمض عينى على طريقة رامى فأتخيل بنت شعبية خجولة.. تتوسل إلى أمها أن تكون واسطة خير بينها وبين عليوة خطيبها ثم تطلب من أبيها أن يساعدها أو يساعد عليوة فى إتمام الزواج.. وفتحت عينى بعيد عن السامعين والشايفين.. لقيت مروة.. اللى بتغنى الغنوة دى بس بأه فى ٢٠٠٣ بعد ضرب سوريا علطول.. ما هى نانسي عجرم طلعت بعد ضرب العراق برضه.. وإذا بكل معانى الأغنية تختلف.. فأمه نعيمة تحولت إلى طنط نانا اللى ما بتحرمش حد من حاجة.. أما أبوها فهو ذلك النوع من الرجال الذى نقرأ عنه كثيرا في صفحة الحوادث.. أما عليوة.. فهي لا تريده أن يكلمها وإنما تريله أن يضمنها بعد بوليس الآداب ما كبس ع الشقة وخد الكل ع القسم.

وهكذا.. بعد أن اكتشفت فشل طريقة رامي في إغماض العينين والتركيز فى صوت الست فلقد قررت أن ابتدع طريقة جديدة للسمع.. ولتكن طريقة معاطي وهي أن أسد وداني وأغمض عينيا وأقفل بوذي ده خالص.. وتلك هي الطريقة المناسبة خصوصا بعد حلول الشهر الكريم.. اللهم أنى.. نويت الصيام ..

أربع برايز

هل حدث لك مرة أن كنت سائرا بالسيارة.. وسرحت.. لقيت نفسك فى الطريق الصحراوى فقلت لنفسك.. ما الذى أتى بى إلى هنا؟ أو أين أنا الآن؟.. وهل حدث لك أنك كنت جالسا مع أصدقائك وفجأة.. انسحبت ذهنيا من القعدة.. وشردت بعيدا ثم أفقت على أصواتهم وضحكهم فقلت لنفسك.. من هؤلاء؟! ولماذا أنا معهم؟! بالأمس القريب اكتشفت فجأة أن أربعين عاما مرت من حياتي ونظرت ورائى فإذا بى أجد أربعة عقود كاملة.. أربع حتت كل حتة بعشرة.. كيف مرت وكيف استمرت؟! العقد الأول منها أضعته فى طفولة بلهاء.. والعقد الثانى أضعته فى مراهقة عبيطة.. والعقد الثالث أضعته فى رجولة زائفة.. أما العقد الرابع فقد أضعته فى تأمل ومراجعة للعقود الثلاثة التى مرت.. كتبت كثيرا وبحماس.. ولم يحقق أى كتاب لى أو مقال.. ما حققته نانسي عجرم فى أغنية واحدة.. قرأت كثيرا وبنهم لكتاب كبار أضاعوا أعمارهم فى كتب أضاعوا عمري أنا فيها.. ومنذ طفولتى

عرفت طريق سور الأزبكية وصار اقتناء الكتب عندى مرضا يصل إلى الإدمان .

وكم أقسمت بأغلظ الأيمان أن أقلع عن هذه العادة السيئة ولكن قدماى كانتا تقودانني إلى السور.. كم أكره هؤلاء البائعين.. اتفضل يا أستاذ.. عندى شوية كتب النهاردة لازم يبأوا من نصيبك.. يبتسم البائع ابتسامة خبيثة أفهمها جيدا.. اتفرج يا باشا زى ما أنت عاوز.. ولا تنقضي نصف ساعة حتى أكون اشتريت بكل ما في جيبى عشرات الكتب واستدنت من البائع خمسة جنيهات عشان التاكسي!!

وفوجئت وأنا أتأمل أعوامى الأربعين أننى لم أتشاجر أبدا فى حياتى.. زعلت مع حد يمكن.. اتقمصت جايز.. لويت بوزى على أكثر تقدير إنما عمري ما اتخانقت.. وها قد مضى قطار العمر يا ولدى وما دخلناش أقسام ولا حد فيشنا ولا شوفنا السجن إلا فى الأفلام.. وأظن أننى سأستكمل عمري هكذا.. لأننى لو بعد العمر ده قليت عقلي واتخانقت مش ح أدخل القسم إنما ح أدخل مستشفى في الغالب .

وفوجئت وأنا أستعرض كتاب حياتي يا عين.. إننى لم أركب دراجة فى حياتي والسبب أننى فى أول محاولة لركوب الدراجة سقطت على الأسفلت فأصبت بكدمات ورضوض وحينما عدت إلى البيت.. وخوفا من الوالد.. قصصت عليه قصة متقنة عن

سيارة كادت تدهسني لولا أن ربنا ستر.. وقفزت بعيدا عنها فى آخر لحظة.. وتعاطف معي السيد الوالد وأخذني بين أحضانه وهو يحمد الله على نجاتى من الموت.. وربما فى هذه اللحظة.. أصبحت مؤلفا..

واكتشفت والشريط يمر أمامى.. أن الخوف كان تيمة أساسية فى حياتى فأنا لا أعرف السباحة حتى كتابة هذه السطور بسبب الخوف.. ويصيبنى الدوار في الأماكن العالية لنفس السبب.. ودمي ينشف في الضلمة.. وإذا عرفت أن كلبا مسعورا فى شارع فيصل.. آخذ المحور على طول..

وكنت أخاف أيضا من الزمن.. حينما ينحني ظهري ويشيب شعري.. فشبت مبكرا جدا.. فى العشرينات من عمري.. فإذا طلبت الإدارة في الجامعة أن أحضر ولي أمري.. كنت أذهب بنفسي.. وأخلص الموضوع على إننى (بابا)..

وهكذا كان خوفى من أساتذتي ومن رؤسائي ومن أي لجنة واقفة على أي كوبري.. ومن أي موظف في إيده ورقة بيمضيها لي.. تيمة أساسية فى حياتي أورثتني حالة دائمة من الذعر الدائم والجبن الشديد.. فهل يصح بعد أربعين عاما من الهلع أن أعمل فيها.. فجأة كده.. واد صايع ومقطع البطاقة؟! لأستكمل مسيرة خوفى بنجاح عظيم ودلوقتي.. بعيد عنكوا.. بأيت بأخاف من الجوافة.. ومن أفلام الكارتون.. وإنى لأستعرض فى شاشة ذهني

الآن رفاق الصبا وزملاء الدراسة الذين كانوا يركبون العجل ويتشاجرون ويتسلقون الأشجار بينما أنا كنت أجلس فى وقار كولي أمر فاشعر أننى أضعت أربعين سنة كاملة فى حالة من التوجس والحذر.. ولكن لم كل هذا التشاؤم.. إن سن الأربعين لم تعد سن اليأس كما قالوا قديما.. فالسنين صارت كالجنيه المصري تنخفض قيمتها تدريجيا.. وهل أربعين دلوقتى يعني زي أربعين زمان؟!.. إن الزعيم مصطفى كامل هد الدنيا كلها وحصل على الباشوية وهو في الثلاثينيات من عمره.. بس السنة أيامها كانت بعشرين سنة دلوقتي.. ثم إننا لو عملنا متوسط لأعمار الوزراء فى حكومتنا لتفاءلنا أكثر وأكثر.. ولما نظرنا إلى عمر الأربعين تلك النظرة المتشائمة.. أربعين ايه؟.. ده احنا لسه ما طلعناش من البيضة.. فالبيضة حينما كانت بمليم.. كان الطلوع منها بدري قوي.. أما البيضة أم نص جنيه ما تطلعش منها غير ع المعاش علطول.. فإذا كانت الحياة زمان (فيلما) سريعا متلاحق الأحداث يخلص في ساعتين فحياتنا الآن (مسلسل) يعرض على أجزاء.. وبالتالى فأربعينى هذه التي تزعجني لا تزيد عن بريزة.. عشر سنوات من بتوع زمان ولذا لا تتعجب يا عزيزي إذا شفتني مأجر عجلة وبألف بيها.. وباعاكس بنات وباتخانق مع طوب الأرض.. فسن الأربعين كما تعلم يا عزيزي.. هي سن المراهقة.. الآن مش عارف ايه حب الشباب اللى طلع لي في وشي ده!!

اسأل مجرب

يا عزيزي اسأل مجرب ولا تسأل طبيبا.. لأسباب كثيرة أهمها أن المجرب.. أرخص .

تشكو لطوب الأرض من العيال مجننينك.. اهدأ شوية.. إن تربية الأطفال مسألة بسيطة للغاية.. إذا كنت تتمتع بصبر أيوب.. وأعصاب رجال الفضاء.. وإذا كانت لديك القدرة على ألا تنام باليومين تلاتة.. وأن تقوم مفزوعا من النوم كل خمس ثوانى.. وإذا كان دخلك الشهري أكثر من خمستلاف جنيه تزيد تدريجيا بنفس زيادة الدولار.. وبنفس بجاحة الأطفال.. إذا توافرت فيك هذه الشروط البسيطة.. فأنت أب مثالي.. وتربوي على أعلى مستوى ، واسمح لي.. أن أسدى لك بعض النصائح. وقبل النصيحة إليك مؤهلاتي يا سيدي .

أولا أنا لدى طفلة.. ثانيا.. أنا نفسي كنت طفلا يوما ما.. ثالثا.. معي شهادات تثبت انني لا أحمل أي شهادة فى علم نفس الأطفال.. رابعا.. معى شهادة معاملة أطفال أضعها فى عين

التخين.. ولندخل بأه فى الموضوع.. أعلم أيها الأب العزيز أن الأطفال يحبون الأشياء التي لا يحبونها.. وهذه عادة أصيلة فى الطفولة.. فإذا قالت لي ابنتي عاوزة شيكولاتة.. لا يعنى هذا أنها عاوزاها فعلا.. وإنما عاوزاني اشتريها لتلقي بها بعد ذلك في الأرض.. وإذا طلبت مكرونة، فقد يعني هذا أنها تريد بطاطس.. المهم أن تعود نفسك – مثلي – أن تأكل بقاياها أو بالأحرى ما لا يأكله ابنك أو ابنتك من هذه الأشياء التي تتدبس في شرائها.. والأطفال يحبون الضجيج والصخب والجري عمال على بطال.. وهو اختبار أعصاب بسيط لرجل مثلك يدعى أنه صار أبا ناضجا.. بالأمس القريب كنا نتمشى أنا وابنتي في الشارع ولاحظت أنها تعشق الدوران حول أعمدة النور.. لم تترك عمودا فى الشارع إلا ولفت حوله لفتين وذراعها متعلقة بالعامود وأنا بالطبع ألف وراءها.. وماذا يضايق فى ذلك.. عد بالذاكرة كام سنة كده وتذكر ما كنت تفعله في طفولتك.. كيس مليء بالزلط جمعته سيادتك ووقفت في البلكونة.. تلقي به على الرايح والجاي.. والناس تشتم وتلعن أبوك الذي ليس له ذنب سوى أنه واخد له تعسيلة على الكنبة ولا يعلم أن المفعوص ابنه عامل انتفاضة قدام البيت .

ولذا إذا كان من المحتم أن تجعل نفسك درسا لأطفالك ، فليكن ذلك على سبيل التحذير لا المثال والطفل كائن لا يعرف

النفاق ولا اللف ولا الدوران - باستثناء أعمدة النور طبعا - فـهو يدلي برأيه في الآخرين بصوت عال ربما يحرجك.. وقد سألتني ابنتي أمام أحد الأصدقاء.. هو صاحبك ده ياباني.. بوءه معووج كله ليه؟! وصديق آخر أصلع محترم جدًا سألتني أمامه.. هو مــاعندوش شـعر فى رأسه ليه يا بابي؟! وفي جلسة على الغداء مع شـخصية مهمـة ومحترمة فى المجتمع قالت ابنتي بأعلى صوتها : بابي.. هو صـاحبك ده تخين قوي كله ليه.. ده أكل الأكل كله .

ولا يعرف الطفـل خطـورة المعلومـات الـتي يتـورط في نقلـها للآخرين عن حياتك العائلية.. فقد كـان أحدهـم يداعبـها قـائلا: باباكي باد بوي Bad Boy فاعترضت وقالت باكية لأ.. بابي Good Boy ، وعشان هو اللى بيغسل الأطباق بعد ما نـاكل وهـو اللـى بيعمل الشاي وهو اللي.. ووضعت يدي على فمها طبعا.. فمسألة غسيل الهدوم مـن الأشـياء الـتي أحـب أن تظـل دائمـا فـى طـي الكتمان .

وأطفالنا عندهم ميـول غريزيـة للسـخرية مـن آبائـهم.. فـهذه الكائنات الضخمة اللى هما أحنا يعني.. نهتم بهم ونداللـهم ولا نرفض لهم طلبا دون أي سبب مفهوم.. وإذا غلب عليهم النعـاس ينامون فى أي مكان وأي وقـت مـا دامـوا واثقـين أن هنـاك مـن سيحملهم طول الطريق حتى السرير.. والطفل يعلم أنه صـاحب القرار فإذا أراد أن يذهب إلى مكان.. يصبح ذلك فرمانا غير قابل

للنقاش.. ومـا أن يدخـل المكـان يصـدر فرمانـا ديكتاتوريـا آخـر.. عاوزين نمشي.. ياللا.. فنلم أشياءنا ونركض وراءه كفرعون صغـير يحكم قبيلة من العبيد.. والطفل هو محط الإعجاب ومحور النقـاش إذا ذهبنا إلى أي مكان. لا أنا ولا أمها يهتم بنا أحد.. الكل حولهـا.. دى شكل مامتها بالضبط.. نسخة منها.. ولكنها.. بكل ذكاء تقـول: لأ.. أنا شكل بابايا.. فهي تعلم جيدا أنني الذي أدفع ثمن كل هـذه الأشياء التي تطلبها ولا تأكلها.. وإنما تدفسها بعد ذلك فـى فمـي بكل غلاسة.. وبالأمس ونحن نتفرج أنا وهي على توم وجـيري في موعدنا اليومـي.. إذا بـالريموت يظـهر لنـا أم كلثـوم وهـي تغـني (فكروني) فقالت: غيرها يا بابي بأه عاوزة توم وجيري.. قلت لهـا: لا.. أنا أحب أم كلثوم وأنـت يجـب أن تحـبي أم كلثـوم وإلا.. لـن أحضر لك أي شيء بعد الآن.. أم كلثوم حلـوة.. مفـهوم؟.. قـالت: حاضر يا بابي.. أنا بحب أم كلثوم.. إنما.. من فضلك لو سمحت نزل ايدك تحت.. قوم أقف وأنت بتكلمني!!!

الرقص مع الذباب

لا يعذبني ويثير أعصابي أكثر من هؤلاء الناس الذين إذا عرضت عليهم مشكلة تؤرقك عرضوا عليك حلا تقليديا معروفا للجميع.. وكأنك مثلا (مش من البلد دي) إذا قلت لأحدهم.. أنا عندي صداع يرد عليَّ وكأنه (جاب التايهة) خذ اسبرين.. وهل أنا مثلا محدث صداع.. أو لسه داخل الصداع جديد؟! فلا أعلم أن هناك دواء اسمه اسبرين يأخذه الناس حينما يشعرون بالصداع؟! أخذنا يا سيدي علاجك المبتكر.. قرصين ولم نشف من الصداع.. إن صداعي الذي أشكو منه هذا صداع ما بعد الأسبرين..

وهذا قلت له ذات مرة.. جعان يا أخي.. فإذا به يرد عليَّ ذلك الرد المستفز الذي يسد النفس.. ما تاكل!! وهل أنا في انتظار تصريحه لي بالأكل .. يا سيدي عارفها.. إن المشكلة لا تصبح مشكلة إلا إذا استنفدت الحلول المعروفة المباشرة.. التي تفقع مرارتي هذه.. وبرغم هذا فإنني حينما لا أعترض عليها وأقبلها لا يقولها الناس.. فهذا أقول له مشكلتي في كلمتين.. (معيش

فلوس!!) هل رأيتم إيجازا وتحديدا أكثر من هذا!! المفـروض طبعـا أن يكون الرد بنفس الإيجاز والبلاغـة وبنفـس الكلمـات.. (خـد دول).. ولكنه يتحول هذه المرة عن الردود المباشرة الـتي طالما كـان يتحفني بها.. ويأخذني بعيدا إلى حالة من التأمل وهو يتنهد قائلا.. عمر الفلوس ما جابت السعادة لحـد.. أنـا باشـرب سيجار بـس بـألفين دولار في الشـهر وبرضـه مخنوق.. والقـى جمبريايـة للقـط السيامي الجالس تحت رجليه يتمطع في زهق!! ويقولون عـني أنـني صرت عصبيا وباتخانق مع دبان وشي!!.. إن الردود التي أتلقاها من الناس هي (رضوض) وكدمات أكـثر منـها أجوبـة وحلـولا.. فـلا يمكن أن أتحمل حرارة الصيف مع ردود الأصدقـاء ورزالتـهم مـع حفلات مارينا ودباديب كاظم الساهر.. وإشاعة زواج شعبان عبـد الرحيم لوفاء عامر التي ملأت أغلفة المجلات.. وكم أخشى عليهما من نهاية ديانا ودودي.. بس فـى ميكروبـاس المـرة دى.. وإبراهيـم سعيد و(انتفاضة) جماهير الكرة ومصطفى حميدة الذي تزوج ميتين وتلات زوجات.. وصار نجما تبحث عنه موسـوعة (جينـس) وأنـا أقترح أن يعينوه خبيرا في قضية (السويركي) .

وبعد كل ذلك تقولون إنني أخانق دبـان وجـهي.. طيـب.. أنـا هكذا فعـلا يـا سـاتر أوف ولا يـزال الأصدقـاء يتفضلـون علـيَّ باقتراحاتهم العبقرية للقضاء علـى تلـك الذبابـة الـتي تـترك ٦٥

مليونا من البشر وتختارني أنا بالذات لتنقض علـى أنفـي.. فـهذا عبقري منهم يقول لي ببساطة.. هشها!!!

فهل يتصور - حضرته - إن فكـرة (الهش) لم تـأت علـى بـال عبيط مثلي ولم أتمالك أعصابي.. وهشيته.. هو مـن أمـامي.. وآخـر (يفتكس) ويقول لي هامسا.. علبة بيروســول صغـيرة تبـأه معـاك.. وقبل ما تقعد ترش.. وفعلتها.. قبل أن أجلس.. أرش رشــة وأبـدأ في الكلام.. وقبل أن أسترسل تعود ذبــابتي.. تـزن وتتنطـط حـول وجهي.. فأرش رشة أخرى.. وهكذا.. فإذا جاء أحدهـم ليسأل عـني.. يشير له الجرسون.. شـايف الجـدع اللـي بـيرش هنـاك ده.. هـو ده الأستاذ يوسف.. وبعد أن اكتشفت أن المبيد الحشري يمثـل وجبـة غذائية متكاملة العناصر لذبابتي تخليت عن هذه الفكرة العبقريـة وتخلصت من صاحبها.. ورشيته..

آه.. ما من رجل يتعذب من الذباب مثلمــا أتعـذب.. ومـا مـن رجل يتعهده الذباب ويتحوطه مثلما يفعل معي.. ولست أدري إن كان ذلك من فرط حبه لي أو سخطه عليّ.. إنها ذبابة واحدة تـترك السرب لتركز معـــي أنــا.. إذا أردت أن أنـام قليـلا بعـد الغـداء.. أستلقى على السرير وأغمض عيني فتنقض علـيٍّ ذبـابتي وتلقـى بنفسها في فتحة أنفي الذي تعتبره (العش الهادئ) وهـي تريـد أن تقيل مثلي بعد الغداء.. وإذا أردت أن أعمل نفسي زوجا متعاونــا وأخيط أزرار قميصي بنفسي.. تتقدم مني ذبابتي وأنا ألضم الإبرة..

وفي تلك اللحظة الحساسة التي أدخل فيها خيطا رفيعا في ثقب الإبرة.. مغلقا إحدى عيناي فاتحا الأخرى على الآخر.. مؤمنا بأن الثقب لا يرى إلا بعين واحدة تهبط ذبابتي كطائرة هليوكوبتر على العين المفتوحة.. فلا أرى شيئا أمامي وتفسد عملية (اللضم) وحينما أحاول أن أهشها والإبرة في يدي ينغرس سن الإبرة الحاد في خدي فأصرخ من الألم.. وتضحك زوجتي.. لا أعلم لماذا تضحك الزوجات حينما يفشل الأزواج في عمل من الأعمال المنزلية؟! فأثور وأنفعل وأملأ الدنيا صراخا.. وتقول زوجتي.. مثلكم جميعا.. أنت بتخانق دبان وشك.. كل هذا وذبابتي تزن حول وجهي في مرح وحبور.. وأترك البيت وهي ورائي على السلم وكأنها تقول لي رايح فين ما أنت قاعد.. كتر خيرها.. على الأقل لم تقلها لي زوجتي. قال لي سائق التاكسي وهو يهش الذباب الذي يملأ السيارة.. صيف بأه يا بيه كل سنة وأنت طيب.. وخرجت الذبابات كلها إلا ذبابتي التي يبدو أنها فرحت بخروج غريماتها وظلت تتقافز على وجهي كأنها في الملاهي.. قال السائق.. افتح الشباك اللي جنبك ح تخرج علطول.. وفتحت الشباك وأخذها الهواء.. سحبها خارج التاكسي فأغلقت الزجاج بسرعة.. ولم أكد ألتقط أنفاسي حتى وجدتها تدخل من شباك السائق.. وهي تضحك بخبث وكأنها تقول لي بعينك.. مش سايباك!! طبعا بعضكم الآن لا يصدقني ويتساءل.. هل رأيت ذبابة تضحك؟!

أنت ح تقرع؟! ومن يسأل هذا السؤال لن أرد عليه.. وإنما سأدعي عليه أن يبتليه الله بذبابة تعشقه مثلما عشقتني هذه..

كنت على الهواء في التليفزيون وبعد أن رشوا الاستديو وبدأ البرنامج لمحتها واقفة فوق الكاميرا تتأملني في إعجاب ثم طارت وحطت على أنف الضيف الكريم يبدو أنها كانت تثير غيرتي.. وبدأ الضيف يهش.. وهو لا يعلم أن الهش يسعدها أكثر فهو لا يهشها وإنما يهشكها.. وطارت وحطت على أنفي أنا.. كلما كانت الكاميرا (كلوز) قريبة من وجهي كانت ذبابتي شريكتي في اللقطة.. فأهش أنا أيضا وظللت هكذا أنا والضيف.. نتحاور ونهش وأيدينا رايحة جاية أمام بعضنا البعض.. وكأننا ح نقوم نتخانق.. وكان لا بد أن أنهي البرنامج هكذا أعزائي المشاهدين.. (كانت حينئذ واقفة على خدي فهشتها هشة) سعدنا بلقائكم.. (كانت قد استقرت على أنفي فهشتها هشة) ونتمنى.. (هشة!!) أن.. أن (هشة ثم هشة) أراااكم.... ولم أكن أدري أنني وأنا أقول أراكم أفتح فمي هكذا لأؤكد على المد الذي في الألف.. واختفت فجأة ذبابتي من أمامي.. وأنا أقول.. أراكم على خير.. ولكن.. ما هذه الحشرجة التي في زوري؟!!!

عملية وضع البيض

في أسبوع واحد.. فقدت كل أصدقائي.. هكذا بـلا مشـاجرات ولا خلافات.. الحكاية أنني غيرت نظام حياتي.. استيقظ في الخامسة صباحا حيث الكل نائم وأكتب حتى الواحدة ظـهرا تلـك الفـترة الرائعة التي لا يتصل بك فيها أحد.. ولا يفكـر فيـك مخلـوق ثـم أعود وأتغدى.. وأنام كالفسيخة.. حيث يتصل الجميع ولا أرد طبعا وحينمـا أسـتيقظ ألاقـي ثمـانين Missed وتسـعين Message كلـها لعنات وإذا حاول بعضهم (اللي نفسه طويـل شـوية) أن يقـترح علينا أن نسهر كما كنا نفعل دائما.. أعتذر برزالة لأنني سأقوم مـن الفجر لأغني طلعت يا محلا نورها شمس الشموسة ومعـي الأوراق والأقلام وأشد الرحـال إلى أي حتـة أو أي (خُـن) لأتخـذ لي ركنـا وأكتب.. وهكذا صار دمـي تقيـل عنـد بعضـهم.. ومغـرور عنـد البعض الآخر ..

والواقع أنني أستطيع أن أغير نظرتهم هـذه لي.. وأصبـح دمـي شربات ومتواضع لدرجة مسـح الجـزم.. إذا تعـهدوا بـأن يدفعـوا

مصروف البيت والفواتير الكئيبة التي ستحولني قريبا من الكتابة الساخرة إلى كتابة المآسي والفواجع الأليمة ..

صار لي عشرة أيام لم أكلم فيها أحدا.. إلا زوجتي طبعا.. فهي أسعد الناس بنظامي الجديد من أجل أسرتي السعيدة التي لم يتغير في نظامها أي شيء.. واليوم عدت في الواحدة ظهرا بعد أن وضعت بيضتين.. أعني مقالتين.. بطلوع الروح.. مقالة منها طلعت ممششة وغير راض عنها.. وأخرى مسلوقة.. جلست في وهن أمام الطعام ولا أعلم لماذا تخيلت أنه ذرة عويجة أو دشيشة.. إلى أن قالت لي زوجتي فجأة.. الشغالة عاوزة ترفع مرتبها من الشهر اللي جاي!! مضغت اللقمة بصعوبة وقلت لها.. كويس هيه عاوزة ترفع.. ده حقها.. أنا مش عاوز أرفع.. ده حقي.. فردت في عصبية يعني ايه.. دي هيه اللي شايلانا وقايمة بالبيت.. قلت لها وأنا أضع بعض العلف في فمي.. خلاص.. تمشي.. قالت زوجتي.. أنا لا يمكن أستغنى عنها ..

الغريب أنني حينما قلت تمشي لم أكن أقصد الشغالة.. أنا قلت تمشي.. وهي جملة مطاطة.. تمشي كله وتمشي كله.. ثم عدت وقلت لها انتو مش حاسين بالأزمة الاقتصادية اللي البلد بتمر بيها.. إذا كانت هيه حمارة ومش فاهمة.. فهميها أنتي.. لما الدولار يوصل خمسة جنيه تبوس ايديها وش وضهر إني لسه بأدفع لها مرتبها.. قالت زوجتي ما هو ده السبب اللي خلاها عاوزة ترفع

مرتبها عشان فرق الدولار.. وهكذا أدركت المستوى الثقافي للشغالة.. ودفعت الفرق.. فليس البنك المركزي فقط المطالب بضخ الفلوس.. أنا كمان مطالب بالضخ.. بعد خمس دقائق.. دخلت زوجتي وضبطتني أداعب.. ابنتي.. وأمارس أبوتي بسعادة وأنا أزغزغ البنت قائلا: المفعوصة دي حتروح الحضانة.. هاها.. قالت زوجتي في سعادة.. طبعا امال ايه!! شطورة.. وتلقيت ابنتي في أحضاني أداعبها.. إلى أن خرمت أذني تلك العبارة.. الحضانة بألف جنيه في الشهر غير الباص!! في نفس اللحظة وبتزامن غريب مدت ابنتي يدها ولطشتني قلم على وجهي.. قلت لنفسي البنت دي ح تطلع مخرجة عالمية.. فالقلم والألف جنيه في وقت واحد كان لهما إيقاع عبقري ذكرني بفيلم الخطايا.. وظلت زوجتي تدخل وتطلع وفي كل مرة.. كان لها جملة.. من هذا النوع وبعد ذلك.. (هشوني) من الحجرة لأنهم يريدون أن يتفرجوا على التليفزيون.. فألقيت بجسدي على الكنبة اللي بره.. وسرحت.. تأملت المكان حولي.. هذه الشقة ملكي.. بتاعتي وهذا العفش أيضا والنجف وكل شيء أنا صاحب كل حاجة هذه مملكتي.. أنا الملك وهم الشعب.. يأكلون ويلبسون ويصرفون ويتمتعون في خيري ولا يعجبهم العجب ماذا أفعل؟! هل انتحر؟! سيرثوني.. هل أتنازل عن العرش؟ سيرثوني بالحيا.. ياللتعاسة!! ما أشقى الملوك في هذه الدنيا.. بس.. لقيتها.. الفكرة الجهنمية.. سأبيع كل شيء..

الشقة بما فيها.. حتى الشغالة سأبيعها.. لا أحد يجد شغالات اليوم وفلوسي كلها سأهربها للخارج.. وبعدها سأضع الهاندباج على كتفي وانطلق حرا طليقا.. سأتسكع في ميدان البيكاديللي في لندن وسأمر على الفتارين إياها.. أمتع نظري.. سأشير إلى تاكسي إنجليزي قديم وسأجلس في عظمة طالبا منه أن يذهب بي إلى ساعة بج بن.. أضبط ساعتي.. وأجري لألحق مسرحية (كاتس) وبعدها سأستقل القطار إلى باريس حيث تنتظرني هناك مدام صوفي وهي شقراء مكتنزة ساحرة.. لا أستطيع الآن أن أذكر لكم متى تعارفنا وكيف صارت علاقتنا بهذه الحرارة لأن هذه كلها تهيؤات وفي التهيؤات يفضل ألا تجهد نفسك في إيجاد مبررات وهناك في المولان روج ستضع مدام صوفي رأسها على كتفي ونحن نشاهد (الشو) المذهل.. وفي المطار ستبكي صوفي بكاء حارًا وهي تقبلني قبلة الوداع أمام الشعب الفرنسي كله.. في إيطاليا بأه.. وفي فيرونا بالتحديد سأتصور مع تمثال جولييت البديع وسآكل تسع أنواع مكرونة مختلفة وسأمشي دائما في يدي بيتزاية نازل فيها لهط.. وبينما أنا واقف ما بعملش حاجة في بياتزادي سان لوكا تفتكروا ألاقي مين؟

باتريسيا!! مش معقول.. سوربريزا مفاجأة جبارة..

ستجري باتريسيا نحوي على الطريقة الإيطالية وتلقي بنفسها في أحضاني فأتلقاها أنا على الطريقة المصرية ولن أذهب إلى

أوبرا لاترافياتا رغم أنني قاطع تذكرة حيث ستستضيفني باتريسيا عندها تلك الليلة.. وفي الصباح الباكر ستوقظني.. ستهدهدني بدلع طلياني مثير.. سترش وجهي بالماء.. وهناك هم لا يؤمنون بأن رش الميه عداوة.. نو.. نو باتريسيا.. باستاكوزي.. بيرفافوري!!!

قوم الساعة بقت خمسة!! باتريسيا عاوز أنام.. فوليو دور ميري أموري.. تصرخ زوجتي: باتريسيا مين يا بني أنت.. الساعة خمسة مش ح تنزل تكتب.. ايه ده!! أنا نمت هنا ع الكنبة.. ترد زوجتي.. ياللا عشان عندك النهاردة خمس مقالات متأخرين.. أقوم من نومي مذعورا.. ألبس في ثوان.. وألم أوراقي وأقلامي وأشد الرحال على أي (خن) وأتخذ لي ركنا بعيدا لكي تبدأ عملية (وضع البيض).

بردانستان

ولا ليمون.. ولا عسل.. ولا دواء.. ولا أي شيء نـافع!! آتشـوم.. عذرا هذه عطسة إجبارية تخرج من أنفي كل خمس دقـائق ليـهنئني العارفون ببواطن الأمور فيما يختص بالبرد وخلافـه ويقولـون لي.. حلو ده.. كده يبأه البرد بيطلع؟! وها قد مر شـهر ديسـمبر كلـه ولم يطلع.. فهل سيطلع بالله عليكـم في شـهر ينـاير؟ آتشـوم.. أتشـي يااااه.. وكأنـه عفريـت لابسـني وليـس فيروسـا.. وهـذا يقـول لي.. إعطـس.. مـا تحبسـش العطسـة.. ده في التشـاطيب.. كـح.. كـح.. كحووووه.. آه.. آسف هذه بأه كحة.. زوري كأنه مدبوح.. والكحـة كأنها زغروتة لا تكتفي بخروجها وحشرجتها وألمها الرهيـب وإنمـا يجب أن يكون لها ذيل.. ويقولون إنه حيطلع قال!! حتـى النفـاق في البرد يا ناس؟! وهم أنفسهم برضه الذين قالوا إن الجنيه حيطلع.. ولا يزال فيروس الدولار جاثما على نفسه ..

قال لي أحدهم.. سيبك من الدوا.. البرد ده عـاوز تتكلفـت لـه كويس بكام بطانية ولحاف لحد ما تعرق جـامد.. عرقـت؟! حتقـوم

تلاقي نفسك زي الحصان.. وفعلتها ظللت الليل سابحا في بحيرة من العرق كأني سمك مشوي ملفوف في جرائد.. ولم يكن ينقصني إلا أن أرش على نفسي شوية ملح رشيدي لأتحول في لمح البصر إلى سمكاية بوري مفتخرة.. وقمت في وهن كسمكة مخلية بعد أن فصصوها ومصمصوها لألقي على نفسي النظرة الأخيرة.. متأملا شحوبي وهزالي والهالات السوداء التي تحيط بعيني الغائرتين والتي تذكرني بآخر أيام عبد الحليم وأول أيام بن لادن بعد ١١ سبتمبر ولم تفلح المعرقة في أن يطلع البرد من جتتي.. قالوا لي.. شوف.. البرد ده علاجه فعلا إنك تنام له.. هو عاوز نوم.. لإنك لما بتتحرك بتهيج الفيروس.. لو أنت نمت.. هوه كمان بينام.. ولو الفيروس نام يموت على طول.. وسمعت الكلام.. وقررت أن أنام حتى يموت الفيروس كمدا.. بقالي شهر نايم.. ومع ذلك أخذ الفيروس يصول ويجول ويمرح في جتتي وعظامي ومناخيري وحلقي بكل شيطانية.. إلى أن أتى لي أحدهم وقال لي.. أنت مالك عامل في نفسك كله ليه؟! ما هو ده اللي مخلي البرد مش عاوز يطلع من جتتك البرد عاوز اللي يقاومه.. قوم وانزل واتحرك.. وانساه.. أنا عندي برد أهوه علاجه حاجة واحدة مناديل ورق في جيبك.. واديله وقته وهو حيطلع لوحده.. قوم يا راجل إيه ده؟! كل دي بطاطين؟!

وقمت وخبطت على صدري خبطة طرزانية كأي رياضي محترف.. ثم قفزت من على السرير وكأنني في حلبة مصارعة مع

الفيروس وشعرت أن روح فريق (مالي) كلها تسكنني الآن.. ملعون أبو الرقلة.. يلا بينا.. في الطريق حياني كوكب الشمس بشعاع ضعيف اختفى على الفور وكأن الشمس تقول لي.. على ما قسم.. ليعود الجو غامقا ملبدا بالغيوم.. وأنا مالي؟! وجلسنا في أحد المقاهي.. ما أجمل الحياة الكل من حولي يعطس ويكح وينف.. وأنا حابس نفسي في البيت!! وبدأ الرشح وطلعت المناديل.. وصديقي يهنئني.. مش قلت لك أهوه ابتدا يطلع.. وفجأة جاءت الرعشة.. والحرارة.. وشعرت أن (روحي) هيه اللي حاتطلع.. ولم أشعر بعد ذلك بأي شيء..

قال الطبيب الذي أفقت على وجوده في الحجرة.. ازاي ساكتين عليه؟! ده لازم ياخد مضاد حيوي وفيتامينات.. و.. و.. وأدركت أن دور البرد الذي تشرفت بأن أخذته من أقوى الأدوار في تاريخ البرد الحديث.. وبدأت المضادات الحيوية تواجه الفيروس بنفسها بعد أن ثبت فشلي في الصمود أمامه تماما كقوات الشمال في أفغانستان مع فيروس طالبان.. ولكنها كما ينطبق المثل برضه.. هدت حيلي ومع ذلك لم توفق في القضاء على الأعراض الرهيبة التي ثبتت ولا زالت العطسة والكحة أم ديل والرعشة والسخونة والرشح من الأشياء الروتينية في حياتي بل صارت سمة من سمات شخصيتي مستسلما تماما لكل وصفات الأصدقاء.. أشرب كل شيء ينصحونني به.. ولا أعترض على أي شيء.. وقد

شربت في نوفمبر وديسمبر ويناير الذي نحن فيه.. لبان دكر مغلي وشيح.. وجنزبيل بالقرفة.. وماء ترمس مغلي مع ورق الجوافة والبابونج.. وكان كل منهم يقدم لي المشروب المعجزة بمقدمة رائعة عن بركاته وأثره المؤكد.. ويقول لي.. استحمله بس.. هوه صعب شوية إنما ح تشربه حتروق على طول.. وحيطلع والآن بعد أن تحملت كل سخافات الأصدقاء والأطباء.. ولم يطلع..

هل أرجوكم بأه ألا يتدخل أحد بعد ذلك نهائيا في مسألة البرد هذه.. لأنها صارت بالنسبة لي مسألة خصوصية.. بل وعائلية أيضا لا شأن لأحد منكم بها.. آكل جيلاتي مثلج آخذ دش ساخن واطلع في البلكونة.. أشرب شيشة.. محدش له دعوة بيا.. ده فيروسي وأنا حر فيه.. آتشوم.. من قال إن الحرب الباردة انتهت؟!!

ما تشيلش فى نفسك

أخذت أهدئ من روعه وأربت على كتفه.. وأكبر له فى أذنه.. وهو فى حالة هياج شديد.. مرتديا بنطلون بيجاما مقطوع ومشمر رجل آه ورجل لأ.. على فانلة داخلية بحمالة آه وحمالة لأ .. وقد حزم وسطه بإيشارب وهو يرقص بجنب آه وجنب لأ.. كان يغنى بسعادة.. بهلوول ولسان العصفور ثم يشد شعره ويجذبنى من الجاكيت.. عرفتنى ولا لأ.. أنا مين.. قلت له وأنا أرثى لحاله.. عرفتك واللهى يا حمودة.. بس إهدا.. هنا قال لى بجدلة.. أيوه أنا حمودة.. Yes.. Yes قلت له.. هوات هابند يا حمودة .. ما كنت بعقلك!! ولكنه ثار فجأة وقال.. أنا مش حمودة.. أنا جاى من إسبانيا والدليل أهوه.. قدامى اللاب توب (الكمبيوتر المحمول) ثم أخذنى من يدى وأجلسنى وأخذ يلف صوابعى ببلاستر وهو ينظر نحوى بعداء وقال لى.. لو كذبت الجهاز ح يصفر وح تروح النار والدليل أهوه اللاب توب (الكمبيوتر المحمول) هنا أدركت أن حمودة في الطراوة.. وأن حالته تستدعى معاملة خاصة.. قلت له

برقة.. ما تشيلشي في نفسك يا حمودة.. اشرب كباية المية دي.. قال وهو يدفعها بعيدا.. أنا صايم.. قلت له صايم أيه يا حمودة؟! رمضان خلص.. قال لى.. لأ.. ما خلصشي يا مفترى يا ظالم.. قلت له طيب النهاردة كام.. قال لى النهاردة ٣٧ رمضان!! قلت له ازاى بس يا حمودة.. رمضان ٣٠ يوم بس والعيد جه وعيدنا وبهلول ولسان العصفور سلموا الباركوات خلاص.. والعمة نور رجعت أمريكا وطلعت زين جاله تلغراف بيقولوله.. تعالى.. تعالى.. تعاااالى.. يا حبيب العمر تعالى.. خلاص يا حمودة.. الحمد لله.. عدت على خير.. قال لى وهو يتشكك فى كلامى.. أنت بتكذب عليا.. أنت متوتر.. والجهاز بيصفر أهوه.. والراجل الخواجة اللى قاعد جنب الجهاز مكشر ومش طايقك شايف بيبص لك ازاى.

العيد ما جاشى يا مفترى.. إذا كانت هيئة الأرصاد قالت ان العيد ح يكون مليان زعابيب وهوا ومطرة والجو ح يبأ .. مطين.. قلت له عندك حق.. هوه العيد جه.. إنما المطرة هى اللى ما جاتش أصل العيد تبع الفلك والمطرة تبع الأرصاد.. والفلك والأرصاد مفيش عمار بينهم. قال حمودة غاضبا ازاى المطرة ما جاتش.. ده الراجل بتاع الأرصاد كان بيحلف إنها ح تمطر.. وكان قدامه (لاب توب) برضه وما كانش متوتر، ازاى أكذبه وأصدقك أنت!! قلت له ما تعقل بأه يا حمودة.. هو أنت أي حد يمسكلك لاب توب تصدقه؟! أنا عاوزك بس ما تشيلشي فى نفسك.. ياريتها جات

على كده يا حمودة كانت تهون.. ما ياما سمعنا وشوفنا حاجات وصدقناها.. وطلعت بعد كده في الكليتشة!! عملناش زيك يا حمودة.. مشينا نقطع في شعرنا ونرقص بلدى.. ونضحك علينا خلق الله.. مش الحكومة قالت لو الشعب عرف اللى احنا بنعمله علشانه كان قعد يدعيلنا ليل نهار.. عملنا أيه.. آدينا بندعى يا حمودة.. وأنت عارف الحكومة يا حمودة بتخبى اللى هيه بتعمله عشان اللى تديه باليمين ما تعرفش ايديها الشمال بيه.. الحسنة اللى فى السر دى بتبأه بركتها أكتر.. هوه اللى يعمل خير يمشي يسيح بأه ويتباهى بيه؟! ولعلمك بأه.. الحكومة دى بتعمل خير وفاتحة بيوت ربنا يباركلها يا حمودة احنا اللى نازلين خلف ليل نهار وعمالين نلوم الحكومة.. عاوزين أكل وشرب ووظايف.. هنا بدأ حمودة يهدأ قليلا ويشعر بالذنب.. ثم سألنى.. يعنى هيه الحكومة ما بتخلفش.. قلت له لأ.. بتخلف بس بالمعقول.. محددة النسل يا حمودة.. ياللا قوم كده طس وشك بشوية ميه واستعذ بالله.. وما تشيلشي فى نفسك..

دخلت زوجتى عليا وصرخت.. أنت ايه اللى لابسه ده.. وبتعمل ايه قدام المراية يا نهارك أسود.. أنت بتكلم نفسك !!

إلا الثقافة.. يا ناس

كل عام فى شهر أكتوبر يقام فـى فرانكفـورت أكـبر معـرض كتاب فى الدنيا كلها.. ويعد هذا المعرض أكبر ظـاهرة ثقافيـة فـى العالم.. يحضره أكبر الناشرين وأكبر الدول.. لاحظـوا كـم (أكـبر) قلتها؟! برغم انكم تعلمون أننى أكره هذه الكلمة كراهية شـديدة إلا إذا كانت مقرونة بلفـظ الجلالـة.. الله أكـبر.. ولكننـى مضطـر لاستخدامها لجذب انتباهكم.. وانتباه الوزير فـاروق حسـنى وزيـر الثقافة.. والدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب لا يخفى علـى حضراتكم.. إننا .. كعرب.. يعنى صار شـكلنا وحـش قـوى.. فـلا موقف.. ولا فن نباهى به الدنيا.. ولا سينما ولا مسـرح ولا كـورة ولا أى حاجة ولا شك أننا نعيش (أكبر) فترة تدهور فـى تاريخنـا.. وفى هذا التوقيت بالذات.. أعلن معرض فرانكفورت أن الـدورة القادمة يعنى فى أكتوبر القادم سـتكون الـدورة العربيـة لعـرض الثقافة العربية على كل المثقفين والكتاب والناشـرين فـى الدنيـا كلها وسيخصص للعرب ٩٠٠٠ متر كخشبة مسرح يعرض عليـها الفكر العربى.. ولأننى كاتب مسرحى فـى الأسـاس فأسـتطيع أن

أتخيل المشهد.. الديكور.. سيكون رمل مفروش على الأرض وجمل بارك علـى الأرض.. وكـام خيمـة عربيـة وسـتعلق علـى الحـائط السيوف والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم.. وكام فرع نور رايح جاى بيولع ويطفي.. ستؤجر أركان في القسم العربـى لبيـع التمر والمشغولات الفضيـة وكـام عربيـة كشـري وحمـص الشـام وقدرة فول مدمس على أساس يعني أن كله أورينتال Oriental يا باشا ..

هذا بالنسبة للديكور نأتي بأه للمشاركين فـي هـذه التظـاهرة الثقافية الفريدة.. سيكون معظمهم من الذين يحبون السـهر أكـثر من الندوات والفرفشة أكثر من الشعر والأدب وستكتب الجرائد العربية أن هذا هو (أكبر) تجمع ثقافى عربى.. ولن تذكر الجرائـد مكان التجمع .

أما بالنسبة للمعارك الأدبية فستتركز على المعارك بين الأشـقاء ومحاولات التهوين من دور مصـر الثقـافى.. موضـة الكتابـة هـذه الأيام.. وستتحول المسرحية إلى ملهاه عبثية.. سيسعد بها جدا أولاد عمومتنـا فـى الجنـاح المجـاور لنـا نحـن العـرب.. وأعنـى الجنـاح الإسرائيلي..

يا وزير الثقافة الفنان.. أعلم أنك أعددت كتابـا عـن إنجازات وزارة الثقافة وأعلم أنها إنجازات حقيقية.. ولكن كل هذا سينهدم إذا لم ينجـح الفصـل الأكـبر مـن الكتـاب.. مصـر فـى معـرض فرانكفورت القادم يجب أن تكـون هـى (الأوسـطى) وهـى التـى

تقود الفكر العربى وإذا فشلنا فى تقديم أنفسنا للعالم ولأصحاب الرأى.. فتأكد أن هذه هى الوكسة الثقافية.. ستقول الدنيا كلها هؤلاء هم العرب.. يستحقون ما يحدث لهم بل وأكثر من ذلك .

ولكن إذا نجحنا سيغفر النجاح ما تقدم من فشلنا وما تأخر.. أعلم أن همومك كثيرة ولكن هذا الهم الثقيل الذى ألقى به أمامك.. هو هم الوطن كله.. تستطيع أن تقول واحنا مالنا.. يمكن أن تتنهد فى ضيق الآن وأنت تقرأ هذا المقال وتقول.. هوه أنا ناقص!!.. لا يا سيدى لم يعد إلا هذه.. آخر طوق نجاة.. بل آخر قشة يتعلق بها الغريق ولا نريدها أن تكون القشة التى قصمت ظهر البعير.. أنا أعلم أن مصر كلها الآن تستعد لكأس العالم ألفين وعشرة.. خللونا الأول نتكلم فى شهر عشرة اللى جاى ده.. وهو فرصة حقيقية لنا.. ويمكن أن يكون خير دعاية لنا حتى لألفين وعشرة نفسه.. سيدى الوزير.. أرجوك أن تهتم.. وتذكر صلاح جاهين حينما قال.. صورة .. صورة.. كلنا كده عاوزين صورة.. المشهد الثقافى فى يدك والكتاب – طول عمره – يؤلف هنا فى مصر – ويطبع فى بيروت – ويقرأ فى العالم العربى كله ليغنى إخواننا العرب كما يشاءون .. وليرقصوا ويمثلوا ويعملوا محطات تليفزيونية ليتفوق العرب فى كرة القدم أو فى ركوب الخيل.. إلا الثقافة يا مولاى .

لحسة من فضلك

في تصوري.. إذا كنا قبلنا أن تصدر لنا الولايات المتحدة الأمريكية الديموقراطية فيجب أن يكون لنا شروط في الديموقراطية التي سنستوردها.. فإذا كانت الديموقراطية التي ستوزع على الشعب المصري ستكون مثلا معلبات ديموقراطية.. فيجب طبعا أن نتأكد من تاريخ انتهاء الصلاحية ومن خلوها من المواد الحافظة ويجب أيضا أن نتأكد أن ذبح الديموقراطية كان على الشريعة الإسلامية .. وقبل كل ذلك يجب أن نثق تماما من أن الولايات المتحدة الأمريكية هي أفضل من يصدر الديمقراطية من ناحية الجودة والسعر.. فأنت تستورد البن من البرازيل.. والبخور من الهند.. والساعات من سويسرا والعطور من فرنسا وبالتالي.. فليس عيبا أن ندي العيش لخبازه كما يقول المثل.. ولو ياكل ثلاثة أرباعه كما تقول أمريكا.. وماله؟! ديموقراطية أمريكية!! ماشي يا

سيدى.. المهم أن نتأكد أنها ليس لها آثار جانبية.. إمساك .. خنقة .. تلبك معوى.. يعنى أنا واحد صاحبى كان مسافر بره.. جابلى معاه شوية ديموقراطية قال لى دول تحطهم فى الفريزر.. وكل يوم لحسة كده على ريق النوم.. لا أخفى عليكم أخذت اللحسة من هنا ولا أستطيع أن أصف لكم ما شعرت به.. إحساس رائع بالنشوة والصحة المفاجئة.. قلت للمدام.. عاملة لنا ايه ع الغدا النهاردة.. فإذا بها ترد قائلة.. وبتعلى صوتك قوى كده ليه.. قلت لها صائحا.. آه أعلى صوتى.. من حقى أعلي صوتي وأقول لأ.. لأ.. لأ.. وأنا بأه ح أتغدى فتة ومحشي كرنب.. ايه رأيك بأه.. كانت هذه أول مرة أجرؤ على أن أقول هذه الجملة بعد ست سنوات لم أنطق فيها سوى جملة واحدة أقولها بيأس وضعف حينما تسألنى زوجتى تأكل أيه.. فكنت أقول.. الموجود.. أو أي حاجة.. أو اللى تشوفيه.. جلست على مائدة الإفطار كزوج يمتلك كل حقوقه وقلت .. ح أفطر بيض بالبسطرمة وفول باللحمة المفرومة وجبنة بالطماطم.... يعنى مفيش حاجة تجينى لوحدها.. لازم حاجة بحاجة وح أشرب شاي بلبن كمان سمعت صوتها يهتف بى من المطبخ ايه اللى انت حاطه فى الفريزر ده.. قلت لها.. دول شوية ديموقراطية جايبنلي من بره قالت لى أدوقها.. قلت لها بديموقراطية :

ده من حقك.. قامت ابنتى الصغيرة وقالت لى.. بـابى مـش عـاوزة أروح المدرسة النهاردة.. قلت لها.. أنتى حرة.. ده رأيـك احنـا بيـت ديموقراطي.. خرجت زوجتي من المطبخ وقد تغيرت ملامحها وقالت لى تعالى سـاعدنى.. ولمـا كنـت ديموقراطيـا.. فقـد شمـرت أكمـامى ودخلت المطبخ.. بالختصار.. اتهد حيلى طول اليوم وورطت نفسي فى أعمال لم تكن تسند لى علـى الإطـلاق بدعـوى الديموقراطيـة خصوصا وأن الديموقراطية التى تناولتـها أنـا وزوجتـى كـان بـها خليط مخفف من حقوق المرأة.. نزلت مـن البيـت بصعوبـة.. فلـم يكن قرار نزولي منفردا.. وإنما شارك فيه أهل البيـت كلـهم حتـى صاروا أغلبية وسمحوا لى بالنزول.. فلـم يعـد لي الـرأي النـهائي.. وإنما صرت فى البيـت مجـرد صـوت.. كلمنـى صديقـي يسـألنى.. جربت الديموقراطية قلت له رائعة.. قال لى طيب تاخد بعضك بأه وع البيت عدل.. قلت له.. ليه.. قـال لى.. أصـل أنـا كنـت جـايب شوية ديموقراطية برضه لعادل وحسام وإلهامى أصحابنا.. قلت لـه.. وايه اللى حصل لهم.. قال لى .. الثلاثة فى السجن دلوقت..

كنت أتأمل كل هذا وأنـا أتـابع زيـارة الرئيـس بـوش للنـدن وأرى الإجراءات الأمنية المشددة وحصار المتظاهرين.. ومنعهم مـن المرور فى شوارع معينة.. ومحاولات غلق الأفواه.. وإخفاء الغضـب

فى إنجلترا البلد الديموقراطى فلا أعلم لماذا تصورت أن الرئيس بوش سيقوم بإستيراد الديموقراطية التى فى لندن ليعيد تصديرها لنا فى الشرق الأوسط.. وأدركت الصفقة ح يأخد الديموقراطية من أوروبا.. ويبيعها لنا فى مصر.. ولذا خذوا حذركم وتأكدوا أن الديموقراطية التى ستصدر إليكم ليست مستعملة..

وليغفر لى الرئيس بوش إذا كان مقالي جريئًا بعض الشيء فلا زلت متأثرًا بلحسة الديموقراطية .

جائزة رفض الجائزة !!

يا لبجاحة أطفالنا وهـم يطلبـون العيديـة.. إنـهم لا يطلبونـها كحق مكتسب فحسب.. بـل إنـهم ينتزعونـها انتزاعـا.. حـاضر.. حاضر يا ابنتي العزيزة سأعطيك عيديتك.. ولكن ما الداعـي لهـذه الزغلة.. وأنا أضع يدي في جيبي.. أهيه.. تفضلي يا عزيزتـي.. لماذا تلوين بـوزك هكـذا.. لم يعجبـك المبلـغ؟! مـا هـذا تعيدينها لي.. ترفضين العيدية؟! يكلمني صديـق.. مـاذا حـدث لأطفالنـا تصـور مقاصيف الرقبة كلهم رفضوا أن يأخذوا العيدية ما هـذا الجيـل؟! ألا تذكر حياءنا وكسوفنا حينما كان آباؤنا يعطوننا العيدية.. كـانوا يوزعونها علينا أول أيام العيد.. فنسعد جدًا ونقبـل أياديـهم.. ثـم يعودون ويلمونها منا رابع يوم العيد.. فنعيدها إليهم بكـل نفـس مسامحة واليوم.. يرفضون العيدية إلا إذا أعطينـاهم أضعافـها لقـد شاعت ظاهرة رفض المنح والعطايا والجوائز بصورة رهيبة.. وليس أطفالنا فقط الذين يرفضون.. الشحاذون صاروا يرفضون الحسنة..

وكانوا قديما يقولون إن حسنة قليلة.. تمنع بلاوي كتيرة.. فصاروا يرددون إن حسنة قليلة قلتها أحسن وتاريخ رفض الجوائز الأدبية والمادية والكبيرة حافل بأسماء مهمة.. فالكاتب الفرنسي البير كامي حينما أعطوه الجائزة.. وعملوا الحفلة.. بصوا يمين شمال.. مفيش البير كامي.. وبعدين في لعب العيال ده بأه.. وفي الآخر لقيوه سهران في كباريه وقدامه قلم وأوراق.. ونازل كتابة.. يا عمي هي حبكت الكتابة دلوقت؟! وشالوه هيلة بيلة وع الجايزة.. وخدوا الورق اللي قدامه لقوه كاتب كلمة واحدة ستميت مرة.. كان كاتب ايه.. (مهزلة.. مهزلة.. مهزلة..)

وجان بول سارتر.. استنى لما اترشح وقعد لابد في الذرة لما أخذ نوبل.. وبعد كله راح واقف وقايل.. أنا أرفض إني أخد الجايزة دي.. والدنيا اتقلبت والصحافة اشتغلت شغل جامد قوي ويوسف إدريس كاتبنا العظيم كتب مقالة رائعة عنه اسمها (جائزة رفض الجائزة).

وبرنارد شو الكاتب الساخر حينما حصل على جائزة نوبل.. وقف وقال لهم لقد ألقيتم لي بطوق النجاة بعد أن وصلت إلى بر الأمان.. يعني جايزتكم لا مؤاخذة مش لازماني.. كنتوا فين لما كنت في عرض جوز جنيهات؟! إن رفض الجائزة.. هو قفزة لأعلى وحالة

من حالات الاستغناء والترفع ولا يفعلها في رأيي غير من هو ليس في حاجة إليها.. والدنيا كلها تلتفت بل وتلتف حول من يرفضون الجوائز.. أكثر من التفافها حول من يحصلون عليها أو يقبلونها أن الناس يندهشون من رافض الجوائز في عصر يتكالب فيه الجميع على الحصول على جوائز وألقاب حتى لو كانت مضروبة.. ولقد كنت دربت نفسي جيدا طوال السنوات الماضية - إذا حصل يعني - وحصلت على جائزة كيف سأتلقاها.. أولا سأضبط نفسي دائما حينما يعلن الوزير اسمي كحاصل على الجائزة.. أن اندهش جدا - مع إني عارف من شهر - ثم أطلع على المسرح وأنا في شدة الارتباك - مع إني عامل بروفات على دي - ثم أشد على يد الوزير في امتنان زائف (عاملها قصاد المراية ستين مرة) ثم طبعا سأنفجر في البكاء.. وستصفق الصالة تصفيقا شديدا.. لتلك اللحظة الدرامية.. ثم سأرفع الجائزة نحو الجمهور.. في نفاق واضح للجمهور كأنه الذي يستحق الجائزة وليس أنا.. شوفوا التواضع!! ثم أمام الكاميرات سأتلعثم وهي لعثمة مطلوبة في تلك الظروف وأنا أقول.. الحقيقة .. ما كنتش متوقع.. أنا مش عارف أقول إيه.. إنما باهدي الجايزة دي لـ... وهكذا لابدأ بعدها في الترتيب للجائزة التي تليها.. ولكن.. صار رفض الجوائز أكثر

لمعانا وبريقا الآن.. وإني لأدعو كل الهيئات والمؤسسات والوزارات لترشيحي للحصول على جائزة مؤكدا لهـم أنـني سـأرفضها علـى الملأ.. ولأنني أعلم جيدا أنهم سيرفضون ترشـيحي للجـائزة الـتي سأرفضها.. فليعلموا أنني لن أسكت وسأرفض جوائز لم أرشح لها من أصله.. ولقد أرسلت إليهم في السويد خطابا بهذا المعنـى لأن الجدع اللي اسمه نوبل ده مش نازل لي من زور.

تطلب جميع أعمال الكاتب

من



أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي

٢٥ شارع وادى النيل – المهندسين – القاهرة

٥ شارع محمد شفيق من شارع وادى النيل

المهندسين – القاهرة

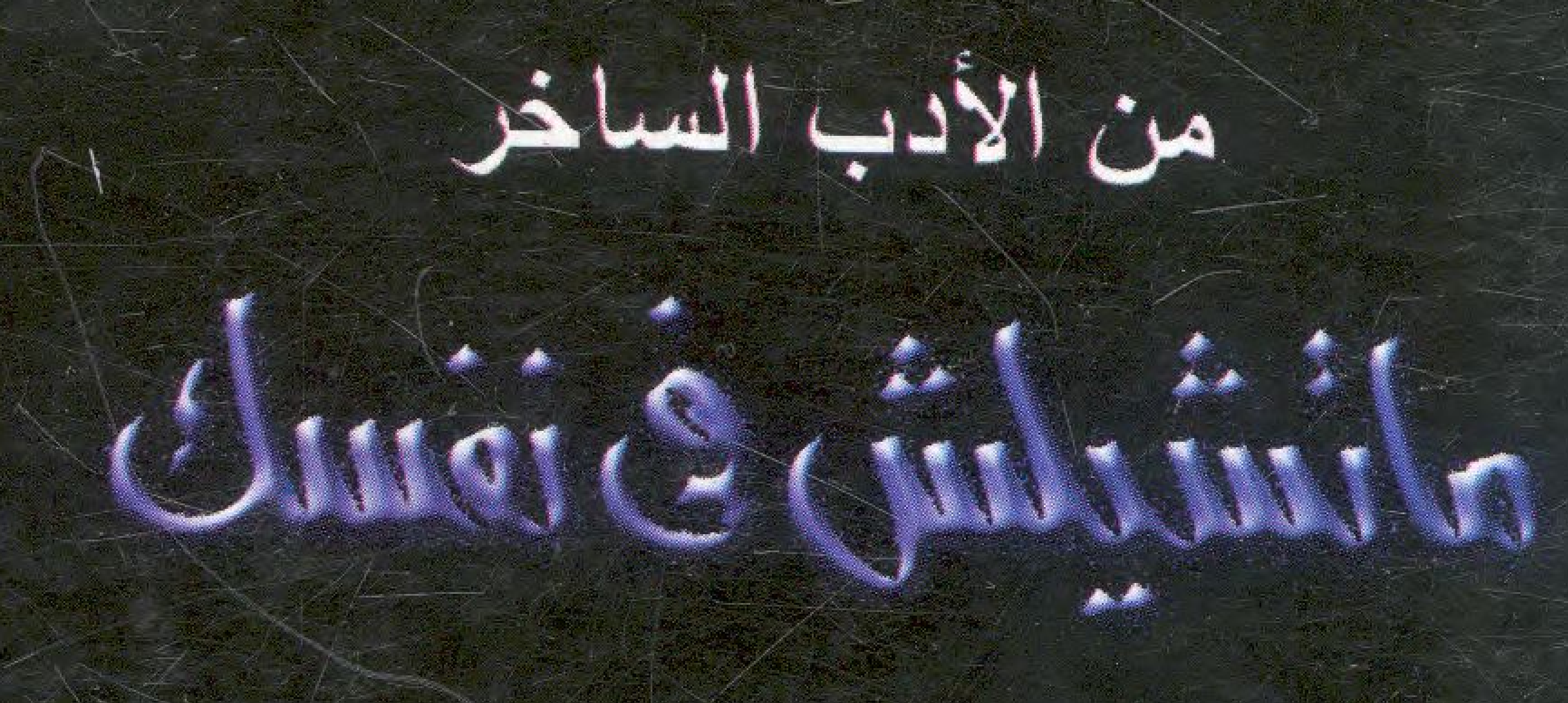
تليفون: ٣٠٢٧٩٦٥-٣٠٣٩٥٣٩-٣٠٤٢٤٦٩ فاكس: ٣٠٢٨٣٢٨

E-mail: innov@innovations-co.com

صدر للكاتب

١ - نجـــوم فى عـــز الضـــهر
٢ - تحـــب تكـــره أمريكـــا
٣ - آه يـــا دمـــاغى
٤ - حصـــل خـــير
٥ - ولا يـــهمك
٦ - طقـــت فى دمـــاغى
٧ - الســـت دى أمـــى
٨ - عســـل البنـــات
٩ - صـــايع بالوراثـــة
١٠ - الفـــن وأهلـــه
١١ - عفـــاريت
١٢ - كـذب المؤلفـون ولـو كتبـوا
١٣ - حكايـــة بنـــت روشـــة
١٤ - كـــلام يـــودى فى داهيـــة
١٥ - شـــىء فى صـــبرى
١٦ - جـــواباتكـــوا

الفهرس



هل قرأت الجرائد اليومية صباح
هذا اليوم؟ هل سمعت نشرة أخبار
الأمس؟ هل ذهبت إلى العمل
ماراً برحلة بين المواصلات
وإشارات المرور؟ هل......؟
إذا.... ما تشيلش فى نفسك !!
إقرأ هذا الكتاب وإضحك
وقولها لكل من تقابله:
ما تشيلش فى نفسك..!

الناشر



